الأخبار
al-akhbar

السبت 1 آب 2026
العدد 5840 السنة العشرون
Samedi 1 Août 2026 no 5840 20ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات

مقاهي دمشق ما زالت برلمان الشعب؟

النبطية: عودة الحياة مؤجّلة... و«الدولة» غائبة

5-4

جولات الوزراء المعنيين أقرب إلى الاستطلاعية أو الاستعراضية

7200 وحدة سكنية متضررة و50% من السكان يعودون

افتتاح الأسواق أولى معارك التّعافي

هل يصل صدى تفجير الشقيف إلى روما؟

2

إسرائيل في غزة

الإبادة والتهجير... ولا شيء آخر

10

(أ ف ب)

روما: العدو يريد تطبيق آلية التحقق من المرحلة الأولى

قبل أيام قليلة من الجولة السابعة للمفاوضات في روما، لم تجد إسرائيل وسيلة أوضح للتعبير عن موقفها من كل المسار التفاوضي سوى بتفجير جنوب لبنان. مئات الأطنان من المتفجرات هزّت قلعة الشقيف ومحيطها، وامتدت عمليات النسف والتدمير إلى دير سريان والمنصوري ومجدل زون وحداثا وأرنون وكفرتبنيت وبحمر الشقيف، فيما بقيت الطائرات المسيّرة تحلّق بلا انقطاع فوق الجنوب وبيروت والضاحية الجنوبية، في مشهد لا يحتاج إلى كثير من التفسير: إسرائيل لا تفاوض على وقع الهدوء، بل تفاوض بالنار، وتفرض شروطها بالمتفجرات، وتكتب وقائعها على الأرض قبل أن يجلس أحد إلى طاولة الحوار.

وبحسب معلومات «الأخبار» فإن المعلومات الواردة من العاصمة الأميركية لا تشير إلى أي تغيير في موقف واشنطن. وقد تبيّن أنها لم تطالب رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو خلال زيارته الأخيرة إليها، بأن خطوة جديدة، وإن دعته إلى تسريع الانسحاب من لبنان، لكنها لم تضع جدولاً زمنياً لذلك. وعندما راجع مسؤولون الإدارة الأميركية كان جوابها بأنها «الزمت نتنياهو عدم توسيع الحرب على لبنان، وذكّرته بأنه ممنوع عليه القيام بأي عمليات عسكرية أو قصف أو هدم مبانٍ في الجنوب وبيروت». فيما كان وزير الخارجية ماركو روبيو يتحدث عن «اتفاق غير مسبوق» وعن إمكانية البناء عليه لتحقيق السلام.

وبحسب المعلومات فإن اجتماع روما، سيشهد محاولة جديدة من قبل الوفد العسكري، لوضع جدول لتعريف المفردات الخاصة بالجنوب، وماهية المناطق المحتلة، وعرض خرائط للمناطق التي تقع تحت الاحتلال وتلك التي لا توجد فيها، والتي يجب أن تُترك للجيش اللبناني كي ينتشر فيها، وعدم اعتبارها مناطق تجريبية. مع اقتراح جديد بتوسيع المناطق ضمن آلية تقود إلى تحرير قرى وبلدات رئيسية في القطاعين الغربي والأوسط. وهو أمر يعتقد أن إسرائيل سترفضه، وسوف تحاول إعادة الحديث عن «أن الاتفاق يلزم لبنان بالية للتحقق مما قام به الجيش اللبناني، وهو أمر يحتاج إلى وقت قبل الانتقال إلى مرحلة جديدة». على أي حال، فإن ما جرى في محيط الشقيف لم يكن مجرد عملية عسكرية. كان إعلاناً صريحاً عن سقوط كل الأوهام التي حاول البعض تسويقها منذ أشهر. أوهام أن هناك اتفاقاً يُحترم، أو تفاهماً يُلزم إسرائيل، أو وساطة أميركية قادرة على كبح آلة الإجرام. فإسرائيل التي لم تحترم قبل الوفد العسكري، لوضع جدول يوماً قراراً دولياً عندما يتعارض مع مصالحها، لا تجد اليوم سبباً واحداً يدفعها إلى احترام اتفاق لا يكلّفها انتهاكه أي ثمن سياسي أو دبلوماسي.

ومنذ الإعلان عن وقف إطلاق النار، لم تتوقف إسرائيل عن القتل والقصف وكل أنواع الخروقات الجوية والبرية. ومع ذلك، بقي الرد الرسمي اللبناني محصوراً في دائرة البيانات والرهان على الوسيط الأميركي نفسه الذي لم ينجح، أو لم يُرد، أن يُلزم إسرائيل بتنفيذ ما وافقت عليه. بل إن الأخطر من ذلك أن هذا الأداء الرسمي بدأ يعطي انطباعاً بأن الدولة تكيّفت مع العدوان، وأنها باتت تتعامل معه كأمر واقع لا أكثر، وكل ما تقوم به السلطة هو الإدانة ثم انتظار أن يقع العدوان التالي.

> **واشنطن تبرر عدم الضغط على إسرائيل لتوسيع الانسحاب، بأنها ثبتت وقف إطلاق النار والزمت نتنياهو عدم العودة إلى العمل العسكري في الجنوب وبيروت**

رئيس الجمهورية العماد جوزاف عون وصف ما جرى بأنه انتهاك فاضح للالتزامات القائمة، ورأى أن توقيت التفجيرات، عشية مفاوضات روما، يبعث برسائل سلبية ويقوّض الجهود الدولية الرامية إلى تثبيت الاستقرار، داعياً المجتمع الدولي إلى تحمل مسؤولياته. بينما اعتبر رئيس مجلس النواب نبيه بري أن ارتدادات التفجيرات «يجب أن توقظ الضمير الوطني والإنساني تجاه ما ترتكبه إسرائيل بحق الإنسان والتراث والثقافة والعمران»، داعياً إلى «عدم الاستسلام لوقائع قوات الاحتلال».

(الأخبار)

تفجير الشقيف: رسائل إسرائيلية تتجاوز «الأنفاق»

(أ ف ب)

لم يكن الانفجار الذي هزّ الجنوب، فجر الجمعة، مجرد عملية تفجير معادية لتدمير شبكة أنفاق مدّعاة. فالموقع المستهدف ليس عادياً، وكذلك الرسائل التي أراد العدو الإسرائيلي توجيهها عبر نسف بالكامل لما قال إنه «مجمع الشقيف العسكري»، بعد أشهر من السيطرة عليه. وبينما تحدثت وسائل إعلام إسرائيلية عن استخدام نحو 700 طن من المتفجرات، وعن احتمال أن يوازي الانفجار هزة أرضية، انصبّ

> **تسبب التفجير بهزة أرضية بدلت التضاريس في مناطق وتبدلت معالم وغطت التربة الكلسية أراضي زراعية في محيط واسع**

الاهتمام في لبنان على حجم الدمار الذي أصاب المنطقة، وما إذا كانت قلعة الشقيف التاريخية قد تعرضت لأضرار جديدة جرّاء التفجير. وادّعى جيش العدو أن عملية التفجير استهدفت «شبكة أنفاق ومنشآت تقع أسفل مرتفعات الشقيف»، يقول إنها شُيدت على مدى سنوات، وتضم غرف قيادة وسيطرة، ومستودعات للأسلحة، ومهاجع، ومرافق لوجستية وطبية، إضافة إلى بنية تحتية متكاملة من الكهرباء والمياه. وتقدّم تل أبيب هذا المجمع باعتباره أحد أهم المواقع العسكرية التابعة لحزب الله في القطاع الشرقي من جنوب لبنان.

لكن أهمية الشقيف لا تقتصر على الأنفاق التي ادّعى العدو وجودها وتفجيرها. فالقلعة التي ترتفع أكثر من 700 متر فوق سطح البحر تشرف على وادي الليطاني ووادي السلوقي والجليل الأعلى، ما جعلها، عبر التاريخ، إحدى أكثر النقاط حساسية في الجنوب. ومن يسيطر عليها يمتلك قدرة واسعة على المراقبة والرصد والتحكم بالنار، وهو ما يفسر تمسك العدو بالموقع منذ احتلاله سابقاً، وسعيه اليوم إلى تحويله، وفق تصريحات مسؤوليه العسكريين، إلى نقطة إشراف متقدمة على الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة.

وأظهرت المعاينات الميدانية أن التفجير الإسرائيلي الواسع الذي استهدف محيط قلعة الشقيف أحدث تغييراً جذرياً في معالم عدد من المناطق المحيطة بها، بعدما امتدت آثاره على مساحة واسعة شمال القلعة وجنوبها وشرقها. ففي مشاع بلدة أرنون، شمال قلعة الشقيف، بحسب الوكالة الوطنية للإعلام، تبدلت تضاريس المنطقة بالكامل، إذ اندثرت مرتفعات صخرية وحقول زراعية، واختفت منازل تحت تأثير الانفجار، فيما غطت الأتربة والمواد الكلسية البيضاء مساحات شاسعة، وامتدت آثار التفجير حتى أطراف كفرتبنيت – الخردلي.

وإلى الشرق من القلعة، طاول التفجير منطقة الدبش التابعة عقارياً لبلدة أرنون، حيث غطت المواد الكلسية الناتجة عن الانفجار مساحة تقارب كيلومتراً، فيما أدى التفجير إلى محو عشرات المنازل عن وجه الأرض.

أما جنوب قلعة الشقيف، فقد تغيّرت معالم مناطق جوار الدرنكية ومرج السلطان وعريض الهوا التابعة لبلدة بحمر الشقيف، وهي مناطق تضم مرتفعات صخرية وأراضي زراعية ومنازل متناثرة. وتحولت هذه المساحات إلى حقول مغطاة بالمواد الكلسية وشظايا الصخور، وامتدت آثار التفجير حتى منطقة المزحلق الواقعة على كتف القلعة باتجاه الخردلي والطيبة ودير ميماس.

الرواية الإسرائيلية تقول إن السيطرة العسكرية على الموقع لم تعد كافية. فبعد دخول القوات الهندسية إلى شبكة الأنفاق المدّعاة وتفتيشها وسحب ما أمكن من معدات ووثائق وأسلحة، اتُّخذ القرار بتدمير المجمع كاملاً لمنع إعادة استخدامه مستقبلاً. هذا القرار ينسجم مع الاستراتيجية التي يعتمدها جيش العدو منذ اندلاع الحرب، والقائمة على تدمير البنى التحتية العسكرية الواقعة تحت الأرض، سواء في غزة أو جنوب لبنان، انطلاقاً من اعتبارها أحد أبرز عناصر القوة لدى المقاومة.

قبل ساعات من التفجير، نشرت صحيفة «معاريف» العبرية أن القيادة العسكرية للاحتلال كانت تدرس احتمال أن يؤدي الانفجار إلى هزة أرضية تتراوح قوتها بين 3,4 و3,7 درجات على مقياس ريختر، وأن تنفيذ العملية احتاج إلى موافقة المستوى السياسي بسبب هذه التقديرات.

في لبنان، تجاوز النقاش البعد العسكري المباشر. فإلى جانب القوة الاستثنائية للانفجار، برزت المخاوف على قلعة الشقيف، أحد أهم المعالم الأثرية في البلاد، والتي تعرضت خلال العقود الماضية لأضرار متكررة نتيجة الحروب.

(الأخبار)

علم وخبر

ماذا بعد توقيف سلامة؟

أوقفت المباحث الجنائية المركزية بتكليف من النيابة العامة التمييزية حاكم مصرف لبنان السابق رياض سلامة في مستشفى بحنس. هكذا نشر الإعلام الخبر أمس. لكن تدقيقاً في ما جرى يظهر أن سلامة هو من اختار سجن نفسه في المستشفى، بعد تهربه من المثول أمام المدعي العام التمييزي أحمد رامي الحاج في قصر العدل، تفادياً لتوقيفه احتياطياً مدة أربعة أيام. وهكذا، ضمن سلامة أن يمضي الأيام الأربعة معززاً مكرماً في جناح خاص له في بحنس، بدلاً من أن يسجن في نظارة.

وعلمت «الأخبار» أن المحامية العامة التمييزية سمرندا نصار ستحدد الإثنين المقبل موعداً لاستجواب الحاكم السابق. لكن المرجح أن يقدم وكيله القانوني دفوعاً شكلية، تتيح لسلامة العودة إلى منزله بعد انقضاء الأيام الأربعة، في تكرار للمشهد المسرحي نفسه، المرافق لقضايا الاحتيال وتبييض الأموال والإثراء غير المشروع التي تورّط بها سلامة وشركاؤه: ادعاء فتوقيف، ومن ثم إخلاء سبيل!

سبب استدعاء سلامة إلى التحقيق هذه المرة يتعلق بقضية بنك عودة التي اتخذ فيها حاكم مصرف لبنان كريم سعيد صفة الادعاء باسم البنك المركزي ضد سلامة ورئيس مجلس إدارة بنك عودة، سمير حنا. القضية تعود إلى العام 2010 عندما قامت شركة «EFG Hermes» ببيع أسهمها في بنك عودة (نحو 4,94% من إجمالي الأسهم) إلى شركة «MOSF»، المسجلة في جزر الكايمان، بتمويل من مصرف لبنان قيمته 154 مليون دولار أميركي.

عملياً، ما حصل عليه «المركزي» مقابل التمويل، سندات من شركة وهمية. أما الأسهم، فسلكت المسار نفسه المتّبع من قبل سلامة في كل عملياته.

عتب نادي رؤساء الحكومات على السعودية؟

يتردد أن غالبية رؤساء الحكومات السابقين يبدون عتباً على المملكة العربية السعودية، بعدما استثناهم السفير السعودي الجديد في لبنان، فهد الدوسري، من جولاته التعارفية، إذ لم يطلب مواعيد للقاء أيّ منهم، فيما شملت لقاءاته مرجعيات دينية وأمنية عدة. وبحسب الأوساط، يعتبر هؤلاء أن دوائر القرار في القصر الملكي باتت تدير ظهرها لهم، ولا تبدي اهتماماً بالاستماع إلى وجهة نظرهم حيال التطورات الأخيرة في لبنان.

رئيس ديوان المحاسبة يراقبُ قُضاتَه!

في سابقة خطيرة تهدف إلى تقييد عمل قضاة ديوان المحاسبة وتثنيهم عن تنفيذ عملهم الرقابي، أصدر رئيسه القاضي محمد بدران تعميماً يُجبر فيه كلّ رؤساء الغرف والقضاة والوحدات الإدارية بالمرور عبره عند مخاطبة أي إدارة عامة، سواء كان لطلب معلومات ومستندات أو في الحالات المستعجلة التي تستلزم اتخاذ إجراء فوري. وينزع هذا الإجراء الاستقلالية عن قضاة الديوان وغرفه التي تُعتبر بمثابة محاكم خاصة تتمتع بصلاحيات واسعة، وحرية في اتخاذ القرارات اللازمة، ضمن إطار المراقبة المُسبقة واللاحقة على عمل الإدارات العامة. والتعميم الصادر يتيح لبدران التدخل والتحكّم بالملفات قيد المتابعة.

بذلك، وتحت مُسمى «تنظيم الإدارة الداخلية»، يعطّل بدران العمل الرقابي، فقط لأن بعض الوزراء ممن يعتقدون أنهم فوق المحاسبة، رفضوا الاستجابة لطلب رؤساء الغرف واشتكوا إلى بدران من مراسلة الأخيرين لهم. وبدل أن يقف رئيس ديوان المحاسبة إلى جانب قضاته، قرّر التفرُّغ لمراقبة الأشخاص المُكلّفين بمراقبة أصحاب المعالي.

المُحاصصة تعود إلى بلدية الجديدة!

بعد عام ونصف العام على وصول «التغيير» إلى بلدية الجديدة -البوشرية- السدّ، دخل المجلس البلدي في نظام المُحاصصة التي كان معارضو الرئيس السابق أنطوان جبارة يعيبونها عليه، لما أنتجته من فساد. هكذا، استحوذ حزب «القوات اللبنانية» على جهاز الشرطة من رئيسه إلى العناصر، الذين ارتفع عددهم إلى أكثر من 100 عنصر، وكذلك ملفّا الإعلانات والنفايات. أمّا حزب الكتائب، فحصل على «بيزنيس» الكسارة داخل مكبّ برج حمود، وكل ما يتعلق بمجمع ميشال المر من إيجارات ونشاطات. وكان رئيس البلدية أوغست باخوس الذي بدأ عهده قوياً، سرعان ما خسر الأعضاء الداعمين له، فبات أسيراً لهيمنة الأحزاب.

نهر من تلفزيون لبنان إلى نقابة الصحافة

خرجت الخلافات داخل مجلس إدارة «تلفزيون لبنان» إلى العلن، بعدما تبادل كل من رئيسة مجلس الإدارة إليسار نداف جعجع وعضو المجلس محمد نمر مواقف عبر منشورات على «فايسبوك»، في مشهد يعكس حجم التباينات داخل المؤسسة، ما دفع نمر إلى تقديم استقالته من عضوية مجلس الإدارة، نتيجة اعتراضه على سياسات قال إن لها «بعداً طائفياً»، بعد أن قدّمت عضو المجلس جنان ملاط استقالتها أيضاً «نظراً لنقص الكفاءة في إدارة مؤسسة من هذا النوع».

لكن يبدو أن استقالة نمر، أثارت اهتمام أوساط إعلامية، قالت إنها ليست مرتبطة فقط بواقع الإدارة في تلفزيون لبنان، وإنها ترتبط بمشروع يعمل عليه نمر، هو الذي لا يخفي طموحه الشخصي لجهة تأدية دور أكبر على صعيد الصحافة في لبنان. وعلم أن الإدارة السعودية للوضع السنّي في لبنان، تعتقد أنه حان وقت خروج نقيب الصحافة عوني الكعكي المحسوب على الرئيس سعد الحريري من موقعه، وأن نمر هو مرشح السعودية لخلافته في المنصب على خلفية أن موقع نقيب الصحافة يخص «عرفاً» الطائفة السنّية. علماً أن من يريد الترشح لهذا المنصب عليه أن يكون صاحب مطبوعة إعلامية سياسية دورية وتصدر ورقياً، وهو ما لا يتوفر مع نمر، إلا إذا كان الحديث يدور عن مرحلة ما بعد إقرار قانون الإعلام الجديد.

مقالة

من فورسايث إلى جنوب لبنان: حين يصبح اقتلاع الناس «ترتيباً أمنياً»!

كريم حدّاد

لم يبدأ التطهير العرقي في مقاطعة فورسايث الأميركية بقرار رسمي يعلن أن الأرض صارت حكراً على البيض، ولم تصدر حكومة ولاية جورجيا مرسوماً يقضي بإفراغ المقاطعة من سكانها السود. بدأ الأمر بحادثة جنائية، ثم باتهام جماعي، فشائعة، فخطاب عن الخطر، فتحشيد مسلّح، قبل أن تتحوّل أعمال القتل والحرق والتهديد إلى واقع جغرافي جديد. وحين انتهى العنف المباشر، كان أكثر من ألف مواطن أسود قد أُخرجوا من بيوتهم، وبقيت محاصيلهم في الحقول ومواشيهم في الحظائر وأراضيهم بلا أصحاب يستطيعون الدفاع عنها.

هذه هي الحكاية التي يعيد باتريك فيليبس بناءها في كتابه «دمٌ في الجذور: تطهير عرقي في أميركا». ففي خريف عام 1912، طُرد 1098 مواطناً من السود من فورسايث تحت تهديد البنادق والمشانق والديناميت. لم يكن المطرودون عابرين أو غرباء؛ كانوا مزارعين وعمّالاً ومدرّسين ورجال دين وأصحاب أراضٍ وكنائس ومدارس. بعد خروجهم، حصد البيض محاصيلهم، واستولوا على مواشيهم، ووضعوا أيديهم تدريجياً على الأراضي التي أصبحت توصف بأنها «مهجورة». ثم اختفت البيوت والكنائس، وضاعت الأسماء، وصارت الجريمة بمرور الزمن حكاية غائمة عن سود «غادروا» المقاطعة.

لا يتناول كتاب فيليبس لبنان، ولا يقدّم نظرية مباشرة في السياسة الخارجية الأميركية. لذلك لا يمكن استخدامه لإثبات علاقة سببية بسيطة تقول إن ما فعلته جماعات البيض في جورجيا عام 1912 أنتج آلياً ما تفعله واشنطن في الشرق الأوسط اليوم. لكنه يكشف بنية أعمق في التاريخ السياسي الأميركي: الطريقة التي يُصنع بها الاقتلاع، ويُبرَّر، ثم يتحوّل من جريمة إلى أمر واقع، ومن أمر واقع إلى مسألة إدارية، ومن مسألة إدارية إلى تاريخ منسيّ. ومن هذه الزاوية تحديداً، يصبح الكتاب أداة شديدة الأهمية لفهم الموقف الأميركي من اقتلاع اللبنانيين، ولا سيما أهالي الجنوب، من أرضهم.

في فورسايث، لم يكن الهدف قتل جميع السكان السود؛ كان يكفي جعل بقائهم مستحيلاً. يكفي أن يُقتل بعضهم، وأن تُحرق بعض البيوت، وأن تُعلّق التهديدات على الطرق، لكي تحمل بقية العائلات أطفالها وتغادر. التطهير العرقي لا يحتاج دائماً إلى إعلان نية إبادة جماعية كاملة؛ قد يتحقّق بتدمير شروط الحياة: المنزل، والحقل، والمدرسة، والكنيسة، والطريق، والشعور بالأمان، وإمكان العودة. وبعد أن يهرب الناس، يستطيع المعتدي القول إن المنطقة أصبحت خالية، وإن السكان غادروا، وإن المشكلة الجديدة ليست في الجريمة التي أخرجتهم بل في كيفية «إدارة» غيابهم.

> **تدعم واشنطن سياسات سبق أن جرّبها النظام الأميركي ضد مواطنيه السود. وفكرة منع شروط الحياة عن الناس، هي الأساس في مشاريع التطهير العرقي**

هذا بالضبط هو الخطر الكامن في جنوب لبنان. فقد تجاوزت العمليات الإسرائيلية منطق استهداف مواقع عسكرية محدّدة إلى إنتاج نطاق جغرافي يصعب العيش فيه، أُصدرت أوامر إخلاء واسعة وأوامر تمنع العودة، ودُمّرت أحياء وقرى وبنى مدنية ومصادر رزق. واعتبرت منظمة العفو الدولية أن استخدام أوامر الإخلاء الجماعي ومنع السكان من العودة في أجزاء من الجنوب يرقى إلى النقل غير المشروع للسكان، وهو جريمة حرب. أمّا مفوّض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان فولكر تورك، فتحدّث عن تدمير واسع للمنازل المدنية، وطالب بإنهاء الاحتلال ووقف عمليات هدم البيوت وضمان العودة الآمنة للنازحين.

الأرقام لا تصف مجرّد نزوح موقّت خلال معركة. خلال الحرب الأخيرة نزح أكثر من مليون شخص، وتضرّرت أو دُمّرت نحو مئة ألف وحدة سكنية بحسب أرقام لبنانية أوردتها «رويترز». وبعد وقف إطلاق النار بقي عشرات الآلاف عاجزين عن العودة لأن قراهم إمّا مُحتلة وإمّا مُهدّمة، فيما ظل جيش الاحتلال الإسرائيلي يسيطر على شريط يصل عمقه إلى نحو عشرة كيلومترات ويحتل عشرات البلدات والقرى. وفي مطلع تموز بقي نحو ستمئة ألف شخص في حال نزوح داخلي، فيما عاد آخرون إلى منازل لا تصلح للسكن أو إلى قرى لم تعد تشبه الأماكن التي عرفوها. هنا يظهر الدور الأميركي، لا باعتباره مجرّد فشل في وقف الجريمة، بل باعتباره مساهمة في إعادة صياغتها سياسياً. فالولايات المتحدة لا تتعامل مع الاحتلال الإسرائيلي وتدمير القرى ومنع السكان من العودة بوصفها وقائع يجب إنهاؤها بلا شروط، بل تضعها داخل معادلة تفاوضية يصبح فيها الانسحاب الإسرائيلي مكافأة يمنحها المحتل تدريجياً مقابل تغييرات لبنانية داخلية. وفي خطة «المناطق التجريبية» التي ترعاها واشنطن، رُبط الانسحاب التدريجي من الأراضي اللبنانية بـ«التحقّق» من نزع سلاح حزب الله، من دون جدول زمني واضح للانسحاب ومن دون آلية مكتملة للتحقّق. وبهذا تصبح العودة إلى البيت حقاً مؤجّلاً، بينما يصبح بقاء الاحتلال أداة ضغط مشروعة داخل التفاوض.

في بلدة زوطر الغربية، وهي أولى «المناطق التجريبية»، انسحبت قوات الاحتلال من مساحة محدودة، لكنها بقيت في قرى ومواقع مجاورة. سُمح لبعض السكان بالدخول في مواكب منظّمة، فوجدوا أن نحو نصف البلدة صار ركاماً وأن غالبية المنازل لا تصلح للإقامة. حتى بعد الانسحاب الجزئي، بقيت القوات الإسرائيلية على مسافة مئات الأمتار، وأطلقت طلقات تحذيرية لمنع الجيش اللبناني من الاقتراب من بعض المواقع. قال رئيس البلدية إن عشرات القرى الأخرى لا تزال مُحتلة، وإن إعادة الإعمار مستحيلة ما دام الجيش الإسرائيلي موجوداً على أطراف البلدة.

ليست المشكلة في تسمية هذه العملية «منطقة تجريبية» فحسب، بل في ما تخفيه التسمية. فالقرية التي اقتُلع أهلها منها ليست مختبراً لتجربة ترتيبات أميركية، والعودة ليست امتيازاً يُمنح دفعة صغيرة بعد دفعة صغيرة. حين يُسمح للمحتل بأن يقرر أي قرية يخليها، ومتى يخليها، وما الشروط الواجب تنفيذها قبل ذلك، يتحوّل الاحتلال من جريمة مستمرة إلى طرف يملك سلطة تقييم سلوك الضحية. يصبح على اللبناني أن يثبت أهليته للعودة إلى أرضه، فيما لا يُطلب من إسرائيل أن تثبت أهليتها للاستمرار في تلقّي السلاح والحماية السياسية.

وهنا يفيدنا كتاب «دمٌ في الجذور» مرة أخرى. ففي فورسايث، لم يكن جميع البيض أعضاء في عصابات «فرسان الليل»، ولم يشارك الجميع شخصياً في حرق البيوت. بعضهم اكتفى بالصمت، وبعضهم قال إنه يعارض «تجاوزات» الغوغاء، وبعضهم طالب بالهدوء، لكنهم جميعاً قبلوا النتيجة: مقاطعة خالية من السود. الفارق بين المتطرف والمعتدل لم يكن دائماً في رفض التطهير، بل في أسلوب الوصول إليه. الأول أراده بالنار والمشنقة، والثاني أراد استقرار الأوضاع بعد أن تنجز النار والمشنقة عملهما.

السياسة الأميركية تجاه لبنان تقوم على فارق مشابه بين الاعتراض اللفظي وقبول النتيجة المادية. قد تعلن واشنطن أنها تريد وقف النار وعودة المدنيين وانتشار الجيش اللبناني، لكنها لا تجعل الانسحاب الإسرائيلي الكامل شرطاً سابقاً ولا تطالب بوقف غير مشروط لهدم المنازل. بل تقبل أن يبقى عشرات آلاف اللبنانيين خارج قراهم إلى أن تُنجز عملية سياسية وأمنية قد تستغرق، وفق تقديرات نقلتها «رويترز» عن مسؤولين، أكثر من سنة. وبذلك يُطلب من المُهجّر أن ينتظر، ومن منزله أن يصمد تحت الجرافات، ومن أرضه أن تبقى مُعلّقة إلى أن يرضى المحتل عن الشروط الأمنية.

لا يمكن فصل هذه الوساطة عن طبيعة العلاقة الأميركية الإسرائيلية. فالولايات المتحدة ليست مراقباً يقف على مسافة واحدة من طرفين؛ إنها المُموّل والمُسلّح والحامي السياسي الأبرز لإسرائيل. وقد أكدت وزارة الدفاع الأميركية أن المساعدة العسكرية المنتظمة لإسرائيل تبلغ 3,8 مليارات دولار سنوياً، موزّعة بين التمويل العسكري والدفاع الصاروخي. لذلك، حين تدخل واشنطن إلى المفاوضات بعد أن تكون الأسلحة الأميركية قد أسهمت في صنع ميزان القوة وفي تدمير البيئة العمرانية، فإنها لا تدخل بعد انتهاء دورها، بل تنتقل من إدارة الحرب إلى إدارة نتائجها.

الأخطر أن اتفاق الإطار الذي ترعاه الولايات المتحدة يتضمّن، امتناع الطرفين عن السعي إلى أشكال من المُساءلة القانونية عن أفعال الحرب. هذه ليست مادة إجرائية هامشية. إنها تعني الانتقال مباشرة من التدمير إلى النسيان، من دون المرور بالحقيقة والعدالة والتعويض. وقد أثارت هذه المادة اعتراضات في لبنان، فيما شدّد مفوّض الأمم المتحدة لحقوق الإنسان على ضرورة التحقيق في الأفعال التي قد تشكّل جرائم حرب.

يعلّمنا باتريك فيليبس أن التطهير العرقي لا يكتمل لحظة فرار آخر عائلة، بل لحظة قبول العالم بأن غيابها صار طبيعياً. ولا يفشل التطهير بمجرّد توقّف القصف، بل عندما يعود الناس، وتُبنى البيوت، وتُزرع الحقول، وتُستعاد الأسماء والملكيات، ويُحاسب من صنعوا الخراب. أمّا السياسة الأميركية التي تربط عودة اللبناني إلى قريته برضى إسرائيل عن ترتيبات لبنان الداخلية، فهي لا تعالج الاقتلاع، بل تمنحه زمناً سياسياً كي يترسّخ.

ملف

النبطيّة: عودة الحياة مؤجّلة وغياب تامّ لـ «الدولة»

رغم مرور شهر ونصف شهر على وقف إطلاق النار، لا تزال النبطية تعيش على إيقاع الحرب. فالاعتداءات الإسرائيلية مستمرة، والدولة غائبة، فيما تتعثّر عودة السكان والاقتصاد في مدينة لا تزال تحت الانقاض

(علي حشيشو)

فراس خليفة

يُجمع أهالي النبطية على أن انعدام الاستقرار الأمني واستمرار الاعتداءات الإسرائيلية في محيط المدينة يشكّلان العائق الرئيسي أمام عودة السكان واستئناف الدورة الاقتصادية. ويضاف إلى ذلك انكفاء معظم مؤسسات الدولة وإداراتها وأجهزتها الأمنية، وغياب الخدمات الأساسية، في مدينة تزرح تحت دمار غير مسبوق. وبعد شهر ونصف شهر على وقف إطلاق النار، لم تتجاوز نسبة العودة الفعلية للسكان 30%، فيما بدت الزيارات التي قام بها عدد من الوزراء المعنيين خلال الأسبوعين الماضيين أقرب إلى جولات استطلاعية أو استعراضية، من دون أن تفضي إلى جدول زمني واضح أو خطوات تنفيذية ملموسة لإطلاق عملية التعافي.

مدينة بلا واجهات

لا تعترف الرصاصات الإسرائيلية الطائشة بالحدود الفاصلة بين النبطية الفوقا والجزء السراي في مدينة النبطية. هناك، وفي كل أحياء المدينة، تهتز الأبواب المخلّعة مع كل انفجار يهزّ عُرفتبنيت أو قصف مدفعي يستهدف تلة علي الطاهر القريبة. ورغم مرور شهر ونصف شهر على وقف إطلاق النار، لا تزال النبطية تعيش إيقاع الحرب، ويفرض القلق الأمني حضوره على تفاصيل الحياة اليومية.

الخراب يطبع معظم أحياء المدينة، وإن بدرجات متفاوتة، والحصة الأكبر هي من نصيب حيَّي الميدان والسراي، حيث تضرّرت أيضاً مبانٍ تراثية عريقة. واجهات معظم المحالّ التجارية مُحطّمة، والرفوف فارغة، والزجاج المتناثر يغطي الأرصفة. وتشير التقديرات إلى تدمير نحو 250 مؤسسة تجارية بالكامل، وتضرر أكثر من 1300 محل جزئياً. إلا أن هذه الأرقام لا تعكس سوى جزء من حجم الكارثة، إذا أضيف إليها تدمير 750 وحدة سكنية بشكل كامل، وتضرر نحو ثلاثة آلاف وحدة أخرى.

ومن بين الركام، يحاول بعض أبناء المدينة استعادة ما أمكن من حياتهم. أعاد صاحب محل الألعاب سمير جابر فتح ما تبقّى من متجره، داخل مبنى بات مُهدّداً بالهدم، فيما استأنف المختار حسن نزار جابر، بعد تضرر مكتبه الأساسي، استقبال معاملات الأهالي في مكتب في سوق «ساحة البيدر» الذي افتُتح عشية الحرب.

في أحد الأزقة، يقف الثمانيني حسين منصور متأملاً المشهد، بعدما عاش معظم حياته في المدينة، ليختصر ما جرى بكلمات قليلة: «كارثة كبرى حلّت بالنبطية». لكن، رغم هذا الدمار، تحاول المدينة إرسال إشارات حياة. فقد علّقت إحدى المؤسسات التجارية لافتة كُتب عليها: «راجعين أقوى». عبارة حاولت حملة النظافة التي نُظّمت الأسبوع الماضي أن تترجمها في الشارع.

وترجمت حملة النظافة التي نُظّمت الأسبوع الماضي جانباً من هذه الإرادة. ورغم أنها ليست الأولى منذ وقف إطلاق النار، فإنها تميّزت بمشاركة واسعة من أبناء المدينة وجمعياتها الأهلية، إلى جانب وفد من فعّاليات مدينة صيدا وأعضاء في مجلسها البلدي، في «مبادرة مشتركة عكست روح التضامن بين المدينتين».

«وينيي الدولة»؟

«المدينة منكوبة». عبارة يردّدها أبناء النبطية لوصف واقع مدينتهم، التي باتت تقع على بعد أقل من ثلاثة كيلومترات من الاحتلال الإسرائيلي المباشر. لذلك، يبدأ أي حديث عن أسباب تأخر عودة الحياة الطبيعية من العامل الأمني أولاً.

الدولة، بكل مؤسساتها المدنية والأمنية والعسكرية، انسحبت من النبطية أثناء الحرب ولم تعد

لكن، «هل الدولة موجودة فعلياً في النبطية؟»، يسأل رئيس المجلس البلدي عباس فخر الدين، مشيراً إلى أن المشكلة تمتدّ إلى الغياب شبه الكامل للدولة. ويضيف: «هل علينا أن نذكّر بأنها مركز محافظة؟ أين الإدارات الرسمية؟»، لافتاً إلى أن بعض الدوائر استأنفت عملها أخيراً، فيما يُفترض أن تعود دوائر أخرى قريباً، «وهو أمر إيجابي، لكنه غير كافٍ».

فخر الدين الذي لم يغادر مدينته في الحرب ويذل مع أعضاء المجلس البلدي جهوداً كبيرة لفتح الطرق وتأمين الأدنى من الخدمات الأساسية يستغرب تراجع ساعات التغذية بالكهرباء مثلاً إلى نحو 4 ساعات يومياً، في وقت كان يُفترض أن تحظى المدينة بأولوية بسبب الظروف الاستثنائية التي تعيشها. ويلفت إلى أنّه نقل هذه الهواجس إلى الوزراء والوفود الرسمية التي زارت النبطية، محذّراً من أن استمرار انكفاء مؤسسات الدولة سيؤخّر عودة السكان واستئناف الحياة الاقتصادية.

وتلتقي الناشطة السياسية نعمت بدر الدين مع هذا التوصيف، معتبرة أن أبناء النبطية «ليسوا مضطرين إلى دفع ثمن غياب الدولة كلياً». وتسأل: «من يغامر بالاستثمار في ظل هذا الواقع؟». وتوضح أن المدينة شهدت استثمارات كبيرة بين الحربين الأخيرتين، إلا أن المشهد اليوم مختلف تماماً، «لأن الناس يحتاجون إلى تطمينات وإلى جهة رسمية تتواصل معهم». وتضيف: «لا يوجد ناطق رسمي يشرح للناس ما الذي ينبغي فعله، فيما تقتصر البيانات الرسمية تقريباً على بيانات وزارة الصحة. كل هذه العناصر مترابطة وتشكّل معاً بيئة تعرقل التعافي».

وتشدّد ابنة حي السراي على أن المرحلة الحالية «تستوجب خطة طوارئ مشتركة بين الدولة والبلدية والمؤسسات والمجتمع الأهلي، لتشجيع العودة الفعلية للسكان». وتحذّر من أن إسرائيل تسعى إلى ضرب رمزية النبطية وذاكرتها الجماعية، بما يؤدي إلى إضعاف ارتباط أهلها بها وإفراغها تدريجياً من مقوّمات الحياة.

بدوره، يرى رئيس «جمعية بيت الطلبة» علي شكر أن استمرار التوتر الأمني في محيط المدينة يعرقل عملية التعافي، إلا أن ذلك لا يعفي السلطة من مسؤولياتها تجاه مواطنيها رغم الأضرار الكبيرة التي لحقت بمؤسساتها، ومنها مبنى السراي الحكومي وهيئات حكومية وخدمية أخرى. ويقول شكر، الذي شارك مع متطوّعي الجمعية في أعمال الإغاثة والإسعاف خلال الحرب: «الدولة، بكل مؤسساتها المدنية والأمنية والعسكرية، انسحبت من النبطية أثناء الحرب ولم تعد»، معتبراً «أننا نعاني اليوم من الحصار الداخلي». فيما يشدّد مختار حي الميدان، عبد بيطار، على أن «أهل النبطية لا يريدون وعوداً جديدة، بل يريدون أن يروا مؤسسات الدولة عادت فعلاً، والخدمات استؤنفت». لافتاً إلى أن «نجاح أي زيارة رسمية يُقاس بما تتركه من نتائج، لا بعدد الكاميرات التي ترافقها».

روح النبطية

شكّل افتتاح عدد من المحالّ التجارية في النبطية خلال الأيام الماضية مؤشراً إيجابياً، وإن بقي محدوداً. فما زالت الغالبية الساحقة من المؤسسات عاجزة عن استئناف عملها، إمّا لأنها دُمّرت بالكامل، أو لأنها تحتاج إلى أعمال ترميم مُكلفة، في وقت استنزفت الحرب القدرات المالية لأصحابها. ويختصر أبناء المدينة المشهد بالقول إن أهل النبطية معروفون بارتباطهم العميق بمدينتهم، لكنهم أيضاً واقعيون في حساباتهم: «من سيغامر اليوم باستثمار أمواله قبل أن يتضح إلى أين تتجه الأمور». في المقابل، بلغت هؤلاء إلى أن مؤسسات تجارية كبرى نقلت ما تبقّى من بضائعها إلى فروع «مؤقتة» في صيدا أو بيروت، بانتظار تحسّن الظروف. إلا أن كثيرين يخشون أن يطول هذا «المؤقت».

بالنسبة إلى محمد كامل بدير، لم تكن النبطية مجرد مكان للسكن، بل «مصدر رزقنا وذكرياتنا وحياتنا كلها». محل الأحذية الذي أسّسه والده، ويُعدّ من أقدم محال السوق التجاري، لم يكن مجرد متجر، بل جزءاً من ذاكرة المدينة. يقول بدير، المعروف بلقب «الجلّول»: «في حرب تموز 2006 تعرّض محلنا للقصف، لكنه لم يُدمّر بالكامل، وتمكّن والدي من ترميمه والعودة إلى العمل. أمّا في حرب 2024، فقد دُمّر المحل كلياً، وخسرنا مصدر رزقنا، بالتزامن مع مرض والدي».

ولكي يعيد إحياء المحل، اضطر إلى بيع قطعة أرض يملكها، بعدما تأخّرت تعويضات المؤسسات التجارية. ويوضح: «كان حلمي أن يعود والدي إلى المحل الذي أمضى عمره فيه، كما كنت أخشى أن يفقد السوق التجاري في النبطية روحه مع مرور الوقت، وأن يعتاد الناس غيابه». لكن والده توفي قبل أن يرى متجره قائماً من جديد. ثم جاءت الحرب الأخيرة لتقضي على كل ما أُعيد بناؤه. ويقول بحسرة: «خسرنا كل شيء مرة أخرى».

ويرى «الجلول» أن تردّد التجار في العودة أمر طبيعي، لأن «التجارة لا تقوم على الشجاعة وحدها، بل تحتاج إلى الاستقرار والأمان، وهما ما زالا مفقودين حتى الآن». ويضيف: «نخشى أن تخسر النبطية جزءاً من تجارها، ليس لأنهم فقدوا محبتهم لمدينتهم، بل لأنهم يبحثون عن فرصة للاستمرار وحماية لقمة عيشهم».

بالنسبة إلى بدير، وإلى كثيرين مثله، فإن استعادة الحياة في النبطية تبدأ باستعادة الشعور بالأمان: «الناس يحتاجون إلى الاطمئنان بأن الحرب ليست على موعد مع جولة جديدة من الحرب. عندما يعود الاستقرار، ستعود المدارس إلى فتح أبوابها بشكل طبيعي، وستستعيد الدوائر الرسمية عملها، وسيشعر التجّار بأن استثماراتهم لن تضيع مرة أخرى، وعندها فقط يمكن أن تستعيد النبطية نبضها الاقتصادي والاجتماعي».

7200 وحدة سكنية متضرّرة... و50% من السكان يعودون

نور محمود

ترك العدوان الإسرائيلي مدينة النبطية مُثقلة بخراب أصاب البشر والحجر، بعدما تحوّلت، على مدى أسابيع، إلى واحدة من أكثر المدن الجنوبية استهدافاً. فالمدينة التي تُعدّ القلب الإداري والاقتصادي لمحافظة النبطية، ونقطة التقاء عشرات البلدات والقرى الجنوبية، والتي لطالما شكّلت مركزاً للحياة التجارية والخدماتية في المنطقة، أصابتها الاعتداءات في أحيائها السكنية وأسواقها التجارية ومرافقها العامة وبنيتها التحتية. والآن، وعلى الرغم من «وقف إطلاق النار»، يبقى الخطر الأمني جاثماً على أجزاء من أطرافها الشرقية، خاصة في المنطقة التي تشرف عليها «تلال علي الطاهر»، ما يجعل من هذه المناطق غير آمنة لعودة السكان.

ولكنّ حجم الدمار لم يمنع المدينة من استعادة جزء من نبضها. فمع بدء عودة الأهالي، تبرز تحدّيات كبيرة، تتمثّل في إزالة الركام والنفايات، وإحياء المرافق والخدمات الأساسية التي عطّلها العدوان. وهذه المحاولات تُعالج بإمكانات البلدية والجمعيات الأهلية المحدودة، في ظل غياب خطة حكومية شاملة لمواكبة مرحلة التعافي وإعادة الحياة إلى المدينة.

«في النبطية أصيب أكثر من 11489 مُنشأة بأضرار»، يقول رئيس بلديتها عباس فخر الدين، والحصيلة الأولية تُظهر تضرر 7200 وحدة سكنية، بينها 750 وحدة هُدّمت كلياً، و1450 تعرّضت لهدم جزئي، فيما تحتاج نحو 5000 وحدة إلى أعمال ترميم متفاوتة بين الشامل والبسيط. ولم يقتصر الدمار على القطاع السكني، إذ تكبّد القطاع التجاري خسائر جسيمة، مع تضرر 4250 محلاً تجارياً، بينها 450 محلاً مُهدّماً بالكامل، و800 محل تعرّضت لهدم جزئي، فيما يحتاج نحو 3000 محل إلى أعمال ترميم وإعادة تأهيل، ما يعكس حجم الضرر الذي أصاب الحركة الاقتصادية في المدينة. أمّا على صعيد الخسائر البشرية في النبطية، فبلغت 155 شهيداً، بحسب آخر إحصاءات البلدية، يقول فخر الدين.

صورة عامة تظهر الدمار في الساحة العامة لمدينة النبطية (الأخبار)

> **في النبطية أكثر من 11489 مُنشأة متضررة والحصيلة الأولية تُظهر تضرر 7200 وحدة سكنية، بينها 750 وحدة هُدّمت كلياً**

وفي توصيفه لحجم الدمار، يؤكد فخر الدين أن «ما شهدته المدينة، لم يكن مجرد قصف طاول أحياء سكنية، بل عملية استهدفت شلّ الحياة في النبطية وضرب مركزها الاقتصادي والإداري، وتحويلها إلى مدينة خالية من سكانها»، حيث لم تقتصر الاعتداءات على المساكن والمؤسسات التجارية، بل امتدّت إلى المدارس الرسمية والخاصة، والمؤسسات العامة والحكومية، والمباني البلدية، ودور العبادة، والحسينيات، فضلاً عن قصف المقابر، وأماكن تجهيز الموتى، ومحطة للكهرباء. كما طاولت الاعتداءات البنى التحتية، فتضرّر نحو 7000 متر من كابلات شبكة كهرباء الدولة، و13000 متر من كابلات شبكات الموبايل، إلى جانب تضرر مئات أعمدة الكهرباء، فضلاً عن أضرار متوسطة في شبكة المياه نتيجة التسرّبات.

ولكن، مع «إعلان الهدنة» في 17 نيسان 2026، لم تنتظر بلدية النبطية التوصل إلى وقف شامل للأعمال الحربية، بل باشرت أعمالها منذ الساعات الأولى مدفوعةً بالعودة الفورية للأهالي. وفي حديثه مع «الأخبار»، يشير فخر الدين إلى أن «البلدية واكبت عودة السكان منذ اليوم الأول للهدنة على الرغم من عدم استقرار الوضع الأمني على أطراف المدينة، فباشرت فتح الطرقات بالتعاون مع فرق الدفاع المدني، قبل أن ينضم الجيش اللبناني في اليوم التالي لمؤازرة الأعمال الميدانية». ويضيف أنّ نسبة عودة الأهالي إلى المدينة تراوح، وفق آخر الإحصاءات البلدية، بين 45% و50%، فيما لا تزال الأحياء الشرقية المحاذية للنبطية الفوقا والمطلة على تلال علي الطاهر خالية من سكانها، بسبب استمرار المخاطر الأمنية واحتمال تجدّد الاعتداءات الإسرائيلية.

وفي سياق متصل، لم تقتصر جهود البلدية على إزالة آثار العدوان وفتح الطرقات، بل شملت إعادة تشغيل مقوّمات الحياة الأساسية في المدينة. وهنا، يوضح فخر الدين أن «فرق البلدية أنجزت إصلاح نحو 95% من الأعطال التي أصابت شبكة المياه، ما أعاد التغذية إلى معظم الأحياء، فيما تولّى أصحاب المولّدات الخاصة إعادة وصل الاشتراكات بالتوازي مع إعادة تشغيل شبكة كهرباء الدولة تدريجياً، الأمر الذي ساهم في إعادة التيار الكهربائي إلى غالبية المناطق الآمنة للسكن.

أمّا على صعيد الخدمات اليومية، فقد وضعت البلدية خطة لمعالجة النفايات التي تراكمت خلال فترة العدوان، فأزالت فرقها ما يقارب 180 شاحنة من النفايات من مختلف أحياء المدينة، قبل اعتماد برنامج يومي لجمعها. كما تواصل البلدية، بمؤازرة الفرق الإسعافية والجمعيات الأهلية، تنفيذ أعمال التنظيف الروتينية للشوارع والأحياء بشكل يومي، في محاولة لإعادة الحد الأدنى للحياة اليومية إلى مدينة التي لا تزال تلملم آثار واحدٍ من أعنف الاعتداءات التي شهدتها.

كابلات شبكات المولّدات، إلى جانب خروج مولّدين عن الخدمة وتضرر عشرة أعمدة كهرباء، فضلاً عن أضرار متوسطة في شبكة المياه نتيجة التسرّبات.

ولكن، مع «إعلان الهدنة» في 17 نيسان 2026، لم تنتظر بلدية النبطية التوصل إلى وقف شامل للأعمال الحربية، بل باشرت أعمالها منذ الساعات الأولى مدفوعةً بالعودة الفورية للأهالي. وفي حديثه مع «الأخبار»، يشير فخر الدين إلى أن «البلدية واكبت عودة السكان منذ اليوم الأول للهدنة على الرغم من عدم استقرار الوضع الأمني على أطراف المدينة، فباشرت فتح الطرقات بالتعاون مع فرق الدفاع المدني، قبل أن ينضم الجيش اللبناني في اليوم التالي لمؤازرة الأعمال الميدانية». ويضيف أنّ نسبة عودة الأهالي إلى المدينة تراوح، وفق آخر الإحصاءات البلدية، بين 45% و50%، فيما لا تزال الأحياء الشرقية المحاذية للنبطية الفوقا والمطلة على تلال علي الطاهر خالية من سكانها، بسبب استمرار المخاطر الأمنية واحتمال تجدّد الاعتداءات الإسرائيلية.

وفي سياق متصل، لم تقتصر جهود البلدية على إزالة آثار العدوان وفتح الطرقات، بل شملت إعادة تشغيل مقوّمات الحياة الأساسية في المدينة. وهنا، يوضح فخر الدين أن «فرق البلدية أنجزت إصلاح نحو 95% من الأعطال التي أصابت شبكة المياه، ما أعاد التغذية إلى معظم الأحياء، فيما تولّى أصحاب المولّدات الخاصة إعادة وصل الاشتراكات بالتوازي مع إعادة تشغيل شبكة كهرباء الدولة تدريجياً، الأمر الذي ساهم في إعادة التيار الكهربائي إلى غالبية المناطق الآمنة للسكن.

أمّا على صعيد الخدمات اليومية، فقد وضعت البلدية خطة لمعالجة النفايات التي تراكمت خلال فترة العدوان، فأزالت فرقها ما يقارب 180 شاحنة من النفايات من مختلف أحياء المدينة، قبل اعتماد برنامج يومي لجمعها. كما تواصل البلدية، بمؤازرة الفرق الإسعافية والجمعيات الأهلية، تنفيذ أعمال التنظيف الروتينية للشوارع والأحياء بشكل يومي، في محاولة لإعادة الحد الأدنى للحياة اليومية إلى مدينة التي لا تزال تلملم آثار واحدٍ من أعنف الاعتداءات التي شهدتها.

افتتاح الأسواق أولى معارك التّعافي

لم ينتظر تجّار مدينة النبطية الوصول إلى نهاية للعدوان ليعودوا إلى أعمالهم. فمع الساعات الأولى لـ«إعلان الهدنة»، بدأ كثير منهم إزالة الركام عن محالّهم، وتنظيف ما تبقّى من بضائعهم، وإعادة فتح أبواب مؤسساتهم، في محاولة لاستعادة الحد الأدنى من الدورة الاقتصادية في مدينة لم يبخّ سوقها التجاري من الاستهداف. ولكن تكشف المؤشرات أن التعافي لا يبدأ بإزالة الركام وحدها، ولا بإعادة ترميم الأبنية فقط، بل بإعادة الناس إلى أعمالهم، واستعادة الأسواق التي شكّلت على مدى عقود مصدر الرزق الأساسي لآلاف العائلات في الجنوب. فبحسب تقديرات منظمة العمل الدولية، فقدت محافظة النبطية نحو 76,5% من وظائفها، فيما خرج آلاف العاملين فيها من سوق العمل.

لذا تبقى العودة إلى النبطية مُعلّقة على شروط تتجاوز قدرة التجار والبلديات. فمن دون استقرار أمني حقيقي، ومن دون خطة رسمية لإعادة بناء الاقتصاد المحلي ودعم المؤسسات المتضررة، ستظل المحالّ التي أعادت فتح أبوابها تعمل في ظروف استثنائية، مُعلّقة بين إرادة البقاء والخشية من أن يعيد عدوان جديد المدينة إلى نقطة الصفر.

على الأرض، وداخل مكتبة صغيرة يتجاوز عمرها نصف قرن، يقف حسين فخر الدين بين رفوف غطّاها الغبار وكتب تناثرت تحت الركام. يلتقط كتاباً، ينفض عنه الغبار، ثم يعيده إلى مكانه، كأنه يرتّب ذاكرة المكان قبل أن يرتّب مكتبته. يقول لـ«الأخبار»: «العدو يدمّر، ونحن نعمّر. مكتبتي عمرها 50 سنة. دمّرتها حرب عام 2006، وأعدنا إعمارها، وتضررت في عدوان 2024 ورمّمناها، واليوم تضررت كثيراً ونحاول تنظيفها وإعادة افتتاحها، فالعدوان لا يكسر العزيمة».

في سياق مرتبط، لا تختلف حكاية أبو محمد، صاحب متجر للمواد الغذائية، عن قصص العشرات من أصحاب المؤسسات التجارية في المدينة. فمنذ سنوات، بات يفتح متجره وهو يدرك أن أي تصعيد قد يجبره على ترك كل شيء خلفه. يروي لـ«الأخبار» أنّه «بعد كل تصعيد كنت أترك بضاعة قيمتها تراوح بين ألفين وثلاثة آلاف دولار، عارفاً أنّ الرحيل عن المكان قد يساوي الخسارة التامة. ولكن ما العمل؟ حاولنا العيش خارج النبطية ولم نستطع. هذه بلدنا، وأنا ابن هذه المدينة ولا أستطيع العيش خارجها». أمّا جلال نصر، صاحب مقهى «الليلاندي»، فيرى أن إعادة فتح المؤسسات التجارية ليست قراراً اقتصادياً فحسب، بل جزء من معركة استعادة المدينة. ويقول إن مقهاه دُمّر بصورة شبه كاملة في عدوان 2024، لكنه أعاد بناءه في أقل من عشرين يوماً، قبل أن يتعرض مجدداً لأضرار راوحت نسبتها بين 40% و50% في العدوان الأخير.

صالون حلاقة يستقبل زبائنه وسط الدمار (مروان بو حيدر)

ويضيف: «أعدت افتتاح المقهى في الأيام الأولى للهدنة، لأن الهدف اليوم ليس فقط استئناف العمل، بل إعادة الروح إلى المدينة». ويؤكد أن معظم أصحاب المحال أعادوا فتح مؤسساتهم، على الرغم من الأضرار والتهديدات، في محاولة لإحياء الحركة الاقتصادية التي استهدفها العدوان بصورة مباشرة. ويتابع نصر: «إذا كان الاحتلال يسعى إلى قتل النبطية اقتصادياً وتدميرها بطريقة مُمنهجة، فمن واجبنا، نحن أبناءها وأصحاب المصالح فيها، أن نعيد الحياة إليها قدر المستطاع».

ويختم بالقول: «خسائرنا لا تُقارن بما قدّمه الشهداء دفاعاً عن هذه الأرض، وأقل ما يمكن أن نفعله هو أن نبقى متمسّكين بها ونواصل بث الحياة». لا تختصر هذه الشهادات حكايات فردية، بل تعكس واقع مدينة فقدت، إلى جانب أبنيتها، جزءاً كبيراً من قدرتها الاقتصادية. فالنبطية، التي شكّلت لعقود المركز التجاري والخدماتي لمحافظة كاملة، تعرّضت أسواقها ومؤسساتها لضربات متكرّرة أصابت دورة العمل والإنتاج في الصميم.

نور...

تقرير

فاتورة الاشتراك تساوي إيجار منزل

روى قاسم

في ظلّ غياب شبه تام للدولة مُمثّلةً بوزارة الاقتصاد والتجارة، وعدم قيام البلديات بمهامها، بلغت فواتير المولّدات لشهر تموز الماضي أرقاماً فلكية ناهزت قيمتها في بعض الأحيان قيمة إيجار المنزل. في الضاحية الجنوبية، وصلت قيمة فاتورة مولّد إلى 450 دولاراً عن منزل مؤلّف من 4 غرف، فيما لم تقل في

لم يعد أصحاب المولّدات قادرين على تحمّل الخسائر الناتجة عن شراء مادة المازوت من السوق السوداء بأسعار تفوق السعر الرسمي بأكثر من 40%

مناطق أخرى عن 250 دولاراً. وهذا في حال كان صاحب المولد ملتزم بتركيب العدّادات. أما في المناطق حيث لا عدادات، فلا تزال «سارحة والرب راعيها»، وتراوح قيمة الفواتير فيها للخط بقدرة 5 أمبيرات، بين 165 دولاراً شهرياً و250 دولاراً.

قصة تخلّت أصحاب المولّدات في تسعير القيمة الشهرية للاشتراكات ليست بجديدة، إنّما في الأشهر الماضية دخلت أزمة أسعار مشتقات النفط العالمية كعامل إضافي ساهم في رفع قيمة فاتورة الاشتراك الشهرية.

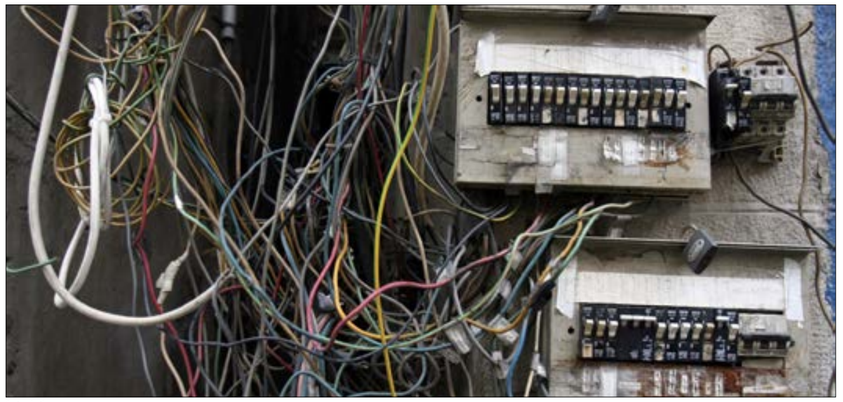
(أرشيف)

وبالتوازي ومع التراجع المستمر في ساعات تغذية كهرباء الدولة، تعود أزمة المولّدات الخاصة إلى الواجهة، ولا سيّما مع عدم اعتراف أصحابها بالتسعيرات الرسمية الصادرة عن وزارة الطاقة، وتحجّجهم بوجود شحّ في مادة المازوت، ما خلق سوقاً سوداء موازية تأكل من أرباحهم.

نهاية شهر تموز حدّدت وزارة الطاقة والمياه تسعيرة الكيلوواط بـ44,821 ليرة في المناطق المرتفعة والمكتظّة، أي ما يقارب نصف دولار، إضافة إلى رسم اشتراك ثابت يبلغ 685 ألف ليرة كحدّ أقصى (نحو 7,5 دولارات). هذا على المستوى الرسمي، أمّا على الأرض، وبحسب الشكاوى، فتُراوح أسعار الكيلوواط ساعة من 55 سنتاً إلى دولار واحد في بعض المناطق، فيما يراوح رسم الاشتراك الشهري بين 10 و15 دولاراً. وعلى الرغم من كلّ هذه المخالفات، سطّرت مديرية حماية المستهلك في وزارة الاقتصاد 500 محضر ضبط فقط عام 2026، توزّعت غالبيتها بين مخالفات التسعيرة وعدم تركيب العدّادات.

صرخة أصحاب المولّدات تسبق المواطنين

هذه المرة، سبقت اعتراضات أصحاب المولّدات شكاوى المواطنين. وفي هذا السياق، نفّذ تجمّع أصحاب المولّدات الخاصة و«المواطنين المتضرّرين» وقفة احتجاجية أمام وزارة الطاقة قبل يومين، حيث حذّر رئيس التجمع عبدو سعادة من أنهم «لم يعودوا قادرين على تحمّل الخسائر الناتجة من شراء مادة المازوت من السوق السوداء بأسعار تفوق السعر الرسمي بأكثر من 40%، في وقت تُفرض عليهم تعرفة رسمية للكيلوواط لا تراعي الكلفة الحقيقية للتشغيل».

وطالب سعادة باعتماد «آلية شفّافة وواضحة لتسعير المحروقات، ونشر جدول احتساب الأسعار بصورة دورية»، متسائلاً عن أسباب «الارتفاع السريع للأسعار عند ارتفاع أسعار النفط عالمياً، مقابل التأخر في خفضها عند تراجعها»، وعن أسباب «اختفاء المادة كلّما لاحت مؤشرات إلى ارتفاع الأسعار، وعودتها إلى الأسواق بكميات كبيرة عند انخفاضها».

الاقتصاد: لا أزمة محروقات والرقابة مستمرة

حملت «الأخبار» هذه الشكاوى إلى رئيس مديرية حماية المستهلك في وزارة الاقتصاد والتجارة، طارق يونس، الذي أكّد أن الوزارة تتابع سوق المحروقات وترصد أي مؤشرات إلى احتكار، مبيّناً أن المديرية تنفّذ دوريات رقابية في الأسواق تشمل الشركات المستوردة للنفط والموزّعين والمحطات.

ولفت إلى أن رقابة وزارة الاقتصاد تبدأ من الشركات المستوردة للنفط، وتصل إلى الموزّعين، للتحقّق من عدم وجود أي عمليات احتكارية أو تجميع للمادة بهدف بيعها لاحقاً عند ارتفاع الأسعار وتحقيق أرباح غير مشروعة، موضحاً أن أسعار المحروقات ترتبط بعوامل دولية، إلا أن الوزارة تتابع الملف في مختلف المناطق اللبنانية وتتدخّل في حال وجود مخالفات.

ولناحية توافر مادة المازوت، طمأن يونس إلى أن لبنان «لم يصل إلى أزمة حقيقية بعد»، لكنه يواجه «بوادر أزمة»، موضحاً أن المادة متوافرة، إلا أن حصول بعض الجهات عليها بأسعار تفوق السعر الرسمي «غير مقبول وغير قانوني وغير مشروع».

البلديات غائبة

أمّا في ما يتعلق بالرقابة على تسعيرة المولّدات، فأوضح يونس أن قرار مجلس الوزراء الرقم 2 الصادر عام 2011 أوكل إلى وزارة الطاقة تحديد التعرفة الشهرية، فيما كلّف وزارتي الاقتصاد والتجارة والداخلية والبلديات بمراقبة الالتزام بها. غير أنه أشار إلى أن وزارة الاقتصاد تتحمّل عملياً العبء الأكبر في متابعة هذا الملف، قائلاً إن الوزارة «منذ عام 2011 تكاد تكون الجهة الوحيدة الموجودة على الأرض»، باستثناء حالات محدودة تعاونت فيها بعض البلديات، إضافةً إلى التعاون مع القوى الأمنية عند الحاجة.

هنا، انتقد يونس ضعف التزام البلديات بواجباتها الرقابية، مبيّناً أن مشاركتها كانت سطحية فرقاً كبيراً في ضبط المخالفات. وأضاف أن وجود مراقب واحد في كل بلدية من البلديات البالغ عددها نحو 1060 بلدية كان سيعزّز جهاز الرقابة بصورة كبيرة. ففي المقابل، لا يتجاوز عدد مراقبي وزارة الاقتصاد بين 60 و70 مراقباً، يتولّون في الوقت نفسه متابعة المولّدات، وسلامة الغذاء، والاحتكارات، ومحطات وصهاريج المحروقات، إضافة إلى مراقبة أسعار السلع الغذائية.

وكان يونس قد أوضح، في حديث سابق مع «الأخبار»، أن صلاحيات المديرية تنحصر في تسطير محاضر الضبط، في حين أن حجز المولّدات يتطلب إشارة قضائية، إضافةً إلى شرط آخر يتمثل في توفر القدرة لدى البلدية على إدارته، كي لا يُترك المشتركون من دون كهرباء.

قانون جديد لحماية المستهلك وتشديد للعقوبات

أعرب مدير مصلحة حماية المستهلك في وزارة الاقتصاد والتجارة طارق يونس عن تفاؤله بأن يؤدي إقرار قانون حماية المستهلك الجديد، والذي أقرّه مجلس النواب في جلسته الأخيرة بعد عشرة أعوام من الانتظار والعمل، إلى تعزيز حماية المستهلك، وذلك بانتظار نشره في الجريدة الرسمية ودخوله حيّز التنفيذ. كما أعرب عن أمله في أن تتشدد الجهات القضائية في فرض الغرامات لردع المخالفين. ومن أبرز التعديلات، وفقاً للوزارة، تشديد العقوبات المالية على المخالفات عبر غرامات تصل إلى أضعاف الحد الأدنى الرسمي للأجور، مع مضاعفتها تصاعدياً عند التكرار. واستحداث آلية وساطة إلزامية وسريعة ومنخفضة الكلفة نسبياً لحل النزاعات الصغيرة قبل اللجوء إلى القضاء، بما يختصر الوقت والكلفة على المواطن، إضافة إلى إنشاء لجان متخصصة لحل النزاعات في كل محافظة.

وكان تدنيي قيمة الغرامات المالية قد أفرغ محاضر الضبط التي تنظمها مديرية حماية المستهلك من فعاليتها، ما دفع المخالفين إلى تكرار مخالفاتهم من دون اكتراث للإجراءات القضائية.

دار الفتوى وفاعليات بيروت غاضبون من المحافظ

أثار قرار محافظ بيروت، القاضي مروان عبود، إعادة رئيس الدائرة الإدارية السابق في مصلحة النظافة في البلدية، مارك كرم، إلى العمل، استياءً واسعاً في الأوساط البيروتية، بعدما كان قد أُحيل قبل أشهر إلى الهيئة العليا للتأديب، على خلفية شكوى قُدّمت إلى النيابة العامة التمييزية إثر تسريب تسجيل صوتي نُسب إليه، تضمّن تهديدات لزميلته، إضافةً إلى شتائم طائفية وعبارات مسيئة بحق المسلمين والسنّة.

وبحسب المعلومات، جاءت إعادة كرم إلى العمل بعد ضغوط مارستها قوى سياسية لتأمين الحماية له، رغم استمرار مسار الملاحقة التأديبية بحقه.

وأثار القرار ردود فعل غاضبة في العاصمة، وبادرت شخصيات وفاعليات بيروتية، إلى جانب علماء، في دار الفتوى، إلى التواصل مع المعنيين في البلدية للتثبّت من صحة الخبر، ملوّحين بإطلاق تحرك شعبي احتجاجي ضد المحافظ، وبإثارة القضية في خطب صلاة الجمعة، معتبرين أن إعادة كرم إلى العمل قبل محاسبته تمثّل إساءة إلى كرامة أبناء بيروت، بعدما طاولتهم الشتائم المنسوبة إليه.

في المقابل، يصرّ عبود على قراره، مُبرّراً ذلك بأنه لن يكلّف كرم بأي مهام إدارية، بل سيبقيه «بتصرف المحافظ»، استناداً إلى رأي الدائرة القانونية في البلدية. إلى حين صدور قرار مجلس شورى الدولة. ويأتي ذلك فيما لا تزال تحوم حول كرم شبهات تتعلق بقضايا فساد وتلقّي رشاوى مالية.

(الأخبار)

كلمات متقاطعة 5144

أفقيا

1- إسم أطلق بعد الحرب الأهلية الإسبانية على الأنصار السريّين وقد شاع هذا الإسم كثيراً خلال الحرب اللبنانية – 2- مدينة مصرية – إسم موصول – 3- مدينة المانية – 4- فتله – عائلة إعلامية جزائرية – 5- رجل أسطوري إشتهر بالحمق والبلاهة – ال التعريف بالأجنبية – عسل – 6- الة موسيقية – نفق في باريس – 7- موجع – مال يُدفع تعويضاً لأهل المقتول – 8- حيوان زاحف – مدينة فرنسية – بواسطتي – 9- قرينان – 10- مدينة مصرية

عمودياً

1- اغنية للفنان جورج وسوف – 2- حرف عطف – من لا اخمص لقدميه – مقياس سوائل – 3- اسمى الطوائف عند الهندوس – 4- وضع عليه علامة – والدة – متشابهان – 5- خوف شديد – هيئة الملابس – 6- جزيرة في البلطيق تتبع أستونيا – مهندس المائي راحل إخترع محركاً بإسمه – 7- اعلم – معركة شهيرة للإسكندر المقدوني – 8- الة كهربائية – بئر عميقة – 9- مادة قاتلة – إنتفاخ في الجلد من جراء صدمة – ضد اشترى – 10- من القنوات التلفزيونية المعروفة

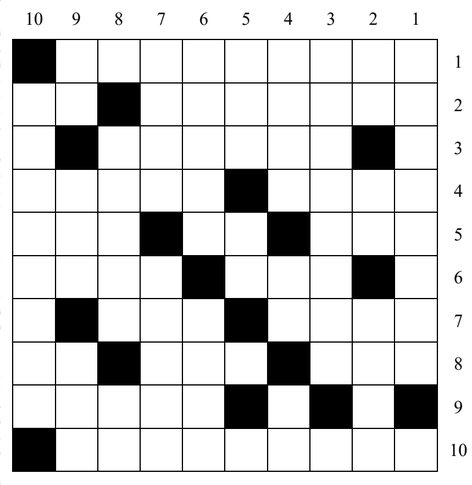

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- أرضي شوكي – 2- حوران – شبان – 3- لايل – جميرا – 4- أنر – فريت – 5- مد – أيار – لص – 6- الجدّب – رفح – 7- السفير – 8- منهل – سر – فا – 9- يم – دا – اب – 10- صقر – الطيري

عمودياً

1- احلام – قميص – 2- رواندا – نمّق – 3- ضرير – لاه – 4- يال – أج – لد – 5- شن – فيدا – ١١ – 6- جرابلس – 7- كشمير – سراط – 8- يبيت – رف – بي – 9- أر – لفيف – 10- مناخ صحراوي

sudoku 5144

4			1					9
			4	2	8			
3	1	6				4		
8			7		3			4
6	5					1		7
2					9			5
	6					4	5	2
			8	6	2			
7		9			1			3

حلول الشبكة السابقة

6	3	2	9	8	1	4	5	7
4	5	1	3	2	7	9	8	6
8	9	7	5	4	6	1	2	3
2	1	5	6	7	8	3	4	9
7	8	3	4	5	9	6	1	2
9	4	6	1	3	2	8	7	5
3	6	4	7	1	5	2	9	8
1	7	8	2	9	3	5	6	4
5	2	9	8	6	4	7	3	1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 441

كلمة السر من 7 حروف: مادة اصطناعية تُصنع منها الإكياس والأواني المنزلية

اصطناعيات – بوريلين – بوليستر – باريوم – تغليف – جل – خزف – خف – زركون – زجاج – شفاف – شكل – طل – عوازل – غبار – غشاء – فرو – لاصق – مطاط – نايلون – هلام

ز	ف	ب	ب	و	ر	س	ل	ي	ن	ن	ف	ب	ب	و
ن	ج	ز	ل	ز	ا	و	ع	ل	ر	ر	ل	ز	ل	ز
و	غ	ا	خ	ا	ش	ك	ل	ت	ن	ن	ج	ا	خ	ا
ل	ش	ل	ج	و	ر	ف	س	م	و	و	غ	ا	ج	و
ي	ا	ج	ط	س	ت	ي	ط	ا	ك	ك	ش	ل	ط	س
ا	ء	ا	ش	ق	ل	غ	ل	ل	ر	ر	ص	ف	ا	ق
ن	ط	ف	ص	و	خ	ف	ل	ه	ز	ز	ب	و	ص	ف
م	ا	ا	ب	غ	ب	ا	ر	ي	ت	ت	ا	غ	ب	ا
ف	ل	ي	م	و	ي	ر	ا	ب	ف	ف	ل	و	م	ي
ك	ا	ص	ط	ن	ا	ع	ي	ا	ت	ت	ا	ن	ط	ص

حلول الشبكة السابقة: دوللي

عملية حسابية 441

شروط اللعبة:
ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

6	X		٪		=	18
X		X		+		
	X	4	X		=	84
٪		–		X		
	X		X		=	81
=		=		=		
14		51		24		

حلول الشبكة السابقة

50	+	1	٪	3	=	17
٪		X		X		
5	X	8	–	9	=	31
٪		X		X		
2	X	9	X	3	=	54
=		=		=		
5		72		81		

شبكة العنكبوت 441

إعداد نعوم مسعود

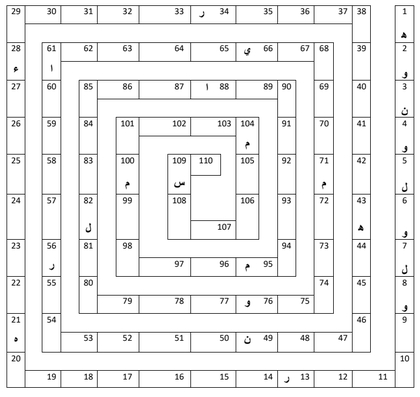

1 – 8 عاصمة ولاية هاواي الإميركية
7 – 21 صحيفة فرنسية ساخرة
19 – 24 مدينة يابانية في شيكوكو
23 – 34 القاليم ومناطق تتبع لدولة كبرى خارج القارة الأم
32 – 39 جزء من الضاحية الجنوبية في بيروت
39 – 46 صحراء افريقية
45 – 58 رئيس فرنسي في عهده دخلت بلاده الحرب العالمية الأولى
56 – 61 مغنية برمبادوسية مشهورة
60 – 64 مدينة فلسطينية
71 – 64 جد رئيس حكومة لبنان الحالي واحد مؤسسي الحركة الإصلاحية في بيروت
70 – 78 احدى الامارات العربية المتحدة
78 – 82 اقليم في افريقيا الجنوبية
81 – 86 نهر ينبع من لبنان ويعبر سوريا ويصب في تركيا
85 – 88 مدينة لبنانية
87 – 95 العاصمة السابقة لتنزانيا
93 – 102 من ابطال كرة القدم الاسبانيين
101 – 106 شارع في بيروت
105 – 110 هيئة الاذاعة البريطانية

حل شبكة العنكبوت السابقة

الحمّص – مصطفى العقاد – ارفيك شيبوب – بوركينا فاسو – سوق عكاظ – ظاهر شاه – اهرامات مصر – مصرف لبنان – انانّاس – استونيا – يا ريتني طير – طيران الشرق الاوسط – سطيف – فرنسا – ساحل العاج – اجينور – روما – مابوتو

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5144

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

فيلسوف فرنسي (1939-2021). تأثر بثورة غاندي في الهند. زار الأردن وسوريا ولبنان
3+2+1+6+4 = حجر كريم ■ 11+9+8+5 = عاصمة إيطاليا ■ 7+10 = خاصتي

حل الشبكة الماضية: كمال الشاذلي

الحدث

أميركا وإسرائيل تبحثان الحصار البري

هذا ما اقترحته إيران في شأن «هرمز»

طهران – **محمد خواجوني**

في إطار استراتيجيتها الجديدة القائمة على الانتقال من الدفاع إلى الهجوم، وانتزاع زمام المبادرة في العمليات، قصفت إيران، أمس، أهدافاً في الكويت، كما ضربت سفينتَين في مضيق هرمز كانتا «تحت حماية جوية أميركية». ويأتي ذلك فيما يتصاعد الحديث عن احتمال اللجوء إلى فرض حصار بري على إيران، يؤمل عبره تحقيق ما لم يحقّقه الحصار البحري لناحية خنق اقتصادها، ودفعها إلى «الاستسلام» المرجوّ أميركياً.

وأصدر الجيش الإيراني بياناً أعلن فيه استهداف «مرابض المقاتلات» و«منظومات الاتصالات الفضائية» و«مستودعات المعدّات» التابعة للجيش الأميركي في قاعدة أحمد الجابر في الكويت، وذلك عبر هجمات بطائرات مسيّرة انتحارية. وجاءت هذه الضربات غداة استهداف إيران، الخميس، مواقع في الكويت والأردن، ردّاً على الهجمات الأميركية؛ وهي تندرج في إطار جولة الاشتباكات الجديدة التي بدأت، الأربعاء، بالهجوم الإيراني على القاعدة الأميركية في الأردن.

ومن جهته، أعلن «الحرس الثوري»، أيضاً، أنه استهدف ناقلتَي نفط «مخالفتَين» كانتا تعتزمان عبور مضيق هرمز. وقال «الحرس»، في بيان، إن الناقلتَين كانتا «تسلكان مساراً غير مُعلَن تحت حماية جوية» من الجيش الأميركي، و«تتحركان في مسار غير آمن وغير قانوني»، وقد «أصيبتا». وأضاف البيان أن «أربع ناقلات نفط أخرى غيّرت مسارها سريعاً»، وعادت أدراجها، متابعاً أنه تمّ «إبلاغ جميع مالكي شركات الشحن البحري وشركات التأمين، بألا يلتفتوا إلى بيانات القيادة المركزية الأميركية، وأن يسألوا أولئك الذين انخدعوا وتعرّضوا للحوادث».

وكانت نفت «القيادة المركزية الأميركية» أن تكون ممرّات الملاحة الحرة في مضيق هرمز «غير آمنة».

لكن «هيئة إدارة ممر الخليج الفارسي المائي» في إيران، أعلنت، أمس، أنه نظراً إلى استمرار الأعمال «العدوانية» للقوات العسكرية الأميركية في المنطقة، فإن «الملاحة عبر مضيق هرمز غير ممكنة». كما ذكرت الهيئة أنه بمجرّد «استقرار الأمن والهدوء، سيتمّ فحص كافة طلبات العبور من المضيق، بناءً على الترتيب والجدول الزمني، وإصدار التصاريح اللازمة».

وفي السياق نفسه، كشفت مصادر مطلعة، لـ«الأخبار»، أن النموذج الإيراني المفضّل لإدارة مضيق هرمز مستقبلاً بالتعاون مع عُمان، والذي طُرح في المفاوضات الأخيرة بين البلدَين، يقوم على دخول السفن إلى المضيق عبر المياه الإقليمية الإيرانية، ومن ثمّ خروجها منه عبر نظيرتها العمانية، وأجزاء من تلك الإيرانية (بشكل مشترك). وإذ يتيح هذا النموذج لإيران، عملياً، مراقبة كلا مسارَي الدخول والخروج وممارسة السيادة عليهما، فهو قدّم كمقابل للاقتراح العماني الذي يقوم على تطبيق سيادة «خمسين بخمسين» (مسار الدخول عبر المياه الإقليمية الإيرانية، ومسار الخروج عبر نظيرتها العمانية)، والذي قوبل بالرفض من طهران. وبحسب المصادر نفسها، فإنه لم يتمّ التوصل بعد إلى اتفاق بشأن آلية مشتركة، وإن مضيق هرمز لا يزال مغلقاً من وجهة نظر إيران.

ويبدو أن الولايات المتحدة والدول العربية في المنطقة تعارض الصيغة التي تريد إيران تطبيقها، باعتبار أنها تعني إحكام الأخيرة سيطرتها الكاملة على هذا الممرّ المائي الدولي، وستؤدي إلى تعزيز مكانة طهران الجيوسياسية. وعليه، تواصل واشنطن محاولة إضعاف إيران تدريجياً، وذلك عبر الاستمرار في الحصار البحري عليها، وشنّ هجمات عسكرية متقطّعة ضدّها، أملاً في دفعها إلى التراجع عن النموذج الذي تتمسّك به.

ورغم أن الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، تابع ممارسة هوايته بإطلاق التهديدات، متوعّداً إيران، في تصريح إلى قناة «فوكس نيوز»، باستمرار الضربات عليها، مع اعترافه في تصريح لاحق في كامب ديفيد بصلابة الإيرانيين، إلا أن مسؤولاً أميركياً قال لصحيفة «نيويورك بوست» إن الرئيس مستعدّ لمنح المفاوضات فرصة كاملة، لكنه يطلب موافقة طهران على وقف النار.

ترامب مستعد لمنح المفاوضات فرصة كاملة إذا قبلت إيران بوقف النار

وفي موازاة هذه الضغوط، تتحدّث بعض الأوساط الغربية عن احتمال فرض حصار بري على إيران بهدف تشديد الضغوط الاقتصادية عليها؛ علماً أن الأخيرة، بحكم امتلاكها آلاف الكيلومترات من الحدود البرية، قادرة على تأمين جزء كبير من احتياجاتها من السلع، عبر التجارة البرية.

وفي هذا السياق، أفادت صحيفة «تلغراف» البريطانية بأن الولايات المتحدة وإسرائيل تدرسان خطّة لفرض حصار بري على إيران، وذلك عبر إغلاق المعابر الحدودية الإيرانية أو تقييدها، بالتعاون مع الدول المجاورة. وبحسب التقرير، فإن هذه الخطة تُعدّ أحدّ عدة خيارات يدرسها ترامب، ورئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، بهدف زيادة الضغط الاقتصادي على طهران.

ومن المرجّح أن يتطلّب تنفيذ مثل هذه الخطة، ممارسة ضغوط على جيران إيران وشركائها الإقليميين، لدفعهم إلى تشديد القيود أو إغلاق المعابر الحدودية، بما يفضي إلى الحدّ من تدفّق الواردات والصادرات الإيرانية. غير أن الدول السبع المجاورة لإيران قد تواجه، إذا ما انخرطت في هذا الجهد، تبعات اقتصادية وخطر هجمات انتقامية من الجمهورية الإسلامية، نظراً إلى أن طهران ستعدّ الحصار البري عملاً عدائياً، ومنسجماً مع السياسات الحربية الأميركية.

«الحرس» يواصل استهداف السفن المخالفة في هرمز (أ ف ب)

تقرير

نهاية الانفتاح العراقي على السعودية

المقاومة تتشبّث بسلاحها

بغداد - **فقار فاضل**

مثّل العدوان السعودي - الأميركي الذي استهدف، قبل أيام، مقارّ «هيئة الحشد الشعبي» في 7 محافظات عراقية، نقطة أنعطاف سياسية وأمنية على طريق العلاقة بين بغداد والرياض، وأضعاً الحكومة العراقية أمام أحد أكثر اختباراتها تعقيداً منذ تسلّم رئيس الوزراء، علي الزيدي، مهامه. فالهجوم الذي أوقع، وفق الأرقام الرسمية العراقية، 18 شهيداً و20 جريحاً - علماً أن «هيئة الحشد الشعبي» تحدّثت عن حصيلة أعلى -، أعاد وضع الانفتاح العراقي على السعودية على محكّ التهديد، وأرجع ملف حصر السلاح إلى نقطة الصفر، ولا سيما وسط تصاعد دعوات الفصائل إلى وقف إجراءات تسليم سلاحها، والردّ على «العدوان على السيادة العراقية».

وجدّد المتحدّث باسم الحكومة، باسم العبودي، نفي وجود أيّ تنسيق مع واشنطن أو الرياض في الهجوم الذي استهدف «الحشد»، وذلك خلافاً لما أعلنه الرئيس الأميركي، دونالد ترامب. وذكّر بأن العراق طلب من السعودية والدول المعنيّة تقديم أدلة تثبت انطلاق الهجمات، على المملكة من الأراضي العراقية، كاشفاً أن الردّ اقتصر على الاستناد إلى بيانات تصدرها جماعات مسلّحة، معتبراً أن البيانات لا يمكن أن تكون مبرّراً قانونياً لقصف دولة ذات سيادة. كما أكّد أن القائد العام للقوات المسلحة لم يتسلّم أيّ دليل يثبت تلك المزاعم، جازماً أن الحكومة لن تنجرّ إلى حرب إقليمية، رغم وصفها الهجوم بأنه «إعلان حرب على العراق».

وفي موازاة الموقف الحكومي، تحرّك «الإطار التنسيقي» سريعاً عبر اجتماع طارئ برئاسة الزيدي، دان فيه العدوان، وعدّه انتهاكاً للقانون الدولي يهدّد الأمن الإقليمي، ويعقّد جهود احتواء التصعيد. كما وجّه المجلس الوزاري للأمن الوطني، وزارة الخارجية بالتحرّك أمام المحافل الدولية لتوثيق الاعتداء، في حين طالبت كتلة «الصادقون» بعقد جلسة طارئة للبرلمان، وتشكيل لجنة تحقيق، ومراجعة الاتفاقيات الأمنية، وتسريع تطوير منظومة الدفاع الجوي.

غير أن أهمّ النتائج سُجّلت في ملف السلاح، فبعد ساعات فقط من العدوان، خرج رئيس أركان «هيئة الحشد الشعبي»، عبد العزيز المحمداوي (أبو فدك)، ليعلن، للمرّة الأولى بهذا الوضوح، رفضه التعامل مع هذا الاعتداء»، مستدركاً بأن «اختراق السيادة العراقية بهذا الشكل يستدعي موقفاً حازماً يتناسب مع حجم العدوان، وإلا فإن الرسالة ستكون أن العراق بات مُستباحاً».

ويبدو أن هذا الموقف ينسحب على غالبية الفصائل، التي دعت أيضاً إلى تعليق زيارة الزيدي إلى السعودية، وربطت أيّ نقاش بشأن حصر السلاح، بقدرة الدولة أولاً على حماية مؤسساتها العسكرية من الاعتداءات الخارجية. ويرى الخبير الأمني والعميد المتقاعد، جودت كاظم، في حديث إلى «الأخبار»، أن «العراق دفع ثمن غياب منظومة دفاع جوي متطوّرة قادرة على حماية أجوائه»، مؤكداً أن «استهداف دولة جارة للأراضي العراقية بخالف قواعد حسن الجوار ويتجاوز قواعد الاشتباك المعروفة». ويشير إلى أن «الرياض لم تقدّم حتى الآن دليلاً قاطعاً يثبت أن الهجمات انطلقت من العراق»، معتبراً أن «ما حدث سيجعل الفصائل أكثر تمسّكاً بسلاحها، وسيضع الحكومة أمام تحدٍّ أكبر في تنفيذ مشروع حصر السلاح، لأن جزءاً كبيراً من هذه القوى سيعتبر أن السلاح أصبح ضمانة وجود بعد العدوان».

حكومة بغداد تعتبر العدوان السعودي «إعلان حرب»

أمّا استناد «الاختراق الدولية، على الشمري، فيرى أن ما جرى «أدخل العلاقات العراقية - السعودية في أخطر منعطف منذ سنوات». ويبيّن الشمري، في حديث إلى «الأخبار»، أن «أيّ قصف يستهدف الأراضي العراقية من دون موافقة بغداد، يمثّل إعلان مواجهة سياسية وأمنية، حتى لو حاولت الرياض تبريره بحقّ الدفاع عن النفس». ويرى أن «زيارة الزيدي إلى السعودية أصبحت شبه مستحيلة في الظروف الحالية، لأن أيّ تقارب سياسي سيواجه رفضاً واسعاً داخل القوى المؤثّرة»، متوقّعاً أن تمرّ العلاقات الثنائية بـ«مرحلة طويلة من البرود والتوتّر، ما لم تقدّم السعودية مبرّرات قانونية مُقنِعة، أو تبادر إلى احتواء الأزمة دبلوماسياً».

تقرير

صناعاء ترفع مستوى التحدي مع السعودية وتحالفها الجديد (من الويب)

صناعاء تتوعّد بإفشال التحالف البحري السعودي

صناعاء - **رشيد الحداد**

توعّدت صناعاء، أمس، بإغراق أيّ سفينة تحاول الرياض تمريرها في البحر الأحمر ومضيق باب المندب، في وقت شدّدت فيه قواتها إجراءاتها الرقابية على السفن السعودية التي تتعمّد إغلاق آلية التعريف. وفي حين تناقل عدد من المصادر المحلية في الساحل الغربي أنباء عن وقوع اشتباكات بحرية وسماع دويّ انفجارات في مضيق باب المندب، تبيّن أن تلك الأصوات ناجمة عن عمليات تحذيرية تقوم بها قوات صناعاء، ضدّ السفن التي تتعمّد إغلاق آلية التعريف ونظام التتبّع.

بالتوازي، تحدّى عضو المكتب السياسي لحركة «أنصار الله»، حزام الأسد، السعودية وتحالفها العسكري الجديد أن يمرّرا سفينة واحدة في البحر الأحمر، مؤكداً، في منشور على منصة «إكس»، المضيّ «في تثبيت معادلة الحصار، حتى انتزاع الحقوق المشروعة». وكانت حذرت وزارة الخارجية في صنعاء، في بيان، من أن أيّ وجود عسكري في البحر الأحمر، «سيخلق حالاً من عدم الاستقرار وسيؤثر على الملاحة الآمنة حالياً وأ».

وجاء ذلك في وقت شهدت فيه صنعاء وعدد من المحافظات الواقعة تحت سيطرة حركة «أنصار الله» مسيرات شعبية حاشدة، أيّد المشاركون فيها الإجراءات المفروضة على الملاحة السعودية في البحر الأحمر ومضيق باب المندب، وجدّدوا، في بيانهم الختامي، التفويض المطلق لقيادة الحركة باتخاذ القرارات العسكرية كافة، الكفيلة بإجبار السعودية على رفع الحصار البحري والجوي على اليمن، وتنفيذ الاستحقاقات الإنسانية المتّفَق عليها في إطار «خارطة الطريق». كما أعلن المتظاهرون تضامنهم مع الشعب العراقي، وإدانتهم للعدوان السعودي - الأميركي على «المقاومة الإسلامية في العراق».

وفي منشور على منصة «إكس»، حيّا رئيس وفد صنعاء المفاوض، محمد عبد السلام، المشاركين في مسيرات صنعاء، وقال إن «الخروج المليوني للشعب اليمني في كلّ الظروف، يؤكد عزمه الجادّ لخوض معركة العزّة والكرامة، وأنه ماضٍ في تثبيت معادلة الحصار بالحصار حتى نيل حقوقه المشروعة».

قضية

ثلاثة عقود من الارتهان للاقتصاد الإسرائيلي

سلطة رام الله «بين الحياة والموت»

رام الله - **أحمد العبد**

تبدو الأزمات المالية والاقتصادية التي تعصف بالسلطة الفلسطينية اليوم، نتيجة مباشرة لثلاثة عقود من الارتهان للاقتصاد الإسرائيلي، الذي كرّسه «بروتوكول باريس»، بتأسيسه بنية اقتصادية تفتقر إلى أبسط مقومات السيادة الفلسطينية. فبدءاً من فرض الشيكل عملة رئيسة للتداول من دون امتلاك بنك مركزي أو القدرة على السيطرة على السياسة النقدية، وصولاً إلى التحكم الإسرائيلي بالمعابر وأموال المقاصة والعلاقات المصرفية، ظلّ الاقتصاد الفلسطيني رهينة لقرارات الاحتلال، الذي لا يتردّد في استخدام الأدوات المالية كوسيلة ضغط سياسي، لا تقلّ تأثيراً عن الحصار والإغلاق.

وبرزت معالم هذا الواقع بوضوح، خلال مؤتمر صحافي -حضرته «الأخبار»- خُصّص أساساً للحديث عن أزمة المحروقات في الضفة، قبل أن يتحوّل إلى تشخيص شامل لأزمة مالية متعدّدة الأبعاد. وفي خلال المؤتمر، حذّر وزير المالية الفلسطيني، اسطيفان سلامة، من أن السلطة تواجه إحدى أكثر المراحل تعقيداً منذ تأسيسها، متحدّثاً عن أربعة ملفات متشابكة تعكس حجم هشاشة الاقتصاد الفلسطيني، هي: احتمال انهيار العلاقة المصرفية مع إسرائيل، استمرار احتجاز أموال المقاصة، تفاقم أزمة تكدس الشيكل، والمحروقات.

العلاقة المصرفية... تهديد يتجاوز البنوك

لعلّ أخطر ما كشفه وزير المالية، هو تلقّي البنوك الفلسطينية إشعارات من البنكَين الإسرائيليَّين المراسلَين، «هبوعليم» و«ديسكونت»، بوقف خدماتهما خلال شهرَي أيلول وتشرين الأول المقبلَين. ورغم قرار حكومة الاحتلال تمديد آلية العلاقة المصرفية حتى نهاية العام، حذّر سلامة من اقتراب انتهاء صلاحية هذه الآلية، واصفاً هذا السيناريو بأنه «أمّ الأزمات المالية والاقتصادية». ذلك أن تداعياته لن تقتصر على القطاع المصرفي، بل ستمتدّ إلى حركة الاستيراد والتجارة والتحويلات، بما سيهدّد أيضاً الخدمات الأساسية، وفي مقدّمها الكهرباء والمياه والوقود، ويؤدي بالتالي إلى شلل واسع في الدورة الاقتصادية الفلسطينية.

والواقع أن الاقتصاد الفلسطيني بات، منذ سريان «اتفاقيات باريس»، معتمداً على شبكة تسويات مالية مع إسرائيل، ما يجعل أيّ قرار بوقف العلاقة المصرفية قادراً على شلّ قطاعات اقتصادية واسعة، وليس القطاع البنكي وحده.

ورغم خطورة تلك التحذيرات، أثارت تصريحات سلامة تحفّظات داخل القطاع المصرفي؛ إذ اعتبر مسؤولون فيه أن الحديث عن احتمال انهيار العلاقة المصرفية، قبل استنفاد الجهود الدولية للحفاظ عليها، قد يزعزع الثقة بالنظام المالي، مدافعين بأن هذا الملف يندرج ضمن اختصاص سلطة النقد التي تواصل اتصالاتها مع أطراف دولية لإيجاد بدائل وتجنّب الانقطاع.

أزمة الشيكل... نتيجة لا سبب

أمّا الملف الثاني، فيتمثّل في تراكم نحو 18 مليار شيكل داخل المصارف الفلسطينية، بعدما امتنعت إسرائيل عن استقبال فائض النقد، وهو ما أدّى، على مدى سنوات، إلى اختلالات متزايدة في القطاع المصرفي الفلسطيني المرتبط بالعملة الإسرائيلية. وفي هذا السياق، يقترح وزير المالية معالجة تدريجية للأزمة، تقوم على تقليص الاعتماد على الشيكل، والتوسّع في استخدام الدولار والدينار، إلى جانب تعزيز وسائل الدفع الإلكتروني. ووفق معطياته، يمثّل الشيكل نحو 55% من الكتلة النقدية المتداولة، في مقابل 33% للدولار، وهو ما يوضح حجم الارتباط بالعملة الإسرائيلية.

لكن خبراء اقتصاديين يرون أن الإجراءات المقترَحة من جانب سلامة، رغم أهميتها، تعالج النتائج أكثر من الأسباب؛ ذلك أن جوهر الأزمة يكمن في استمرار القيود الإسرائيلية على حركة النقد، وهو ما يجعل أيّ حلول محلية محدودة التأثير ما لم تتغيّر البيئة المالية التي تَحكم العلاقة بين الاقتصادَين.

سلطة رام الله لا تزال تتحرك ضمن هامش ضيق غير قادر على معالجة الأزمة

المقاصة والرواتب... أزمة بلا هامش للمناورة

تتعلّق الأزمة الأكثر إلحاحاً باستمرار احتجاز الاحتلال لأموال المقاصة -البالغة، بحسب وزير المالية، نحو ستة مليارات دولار- منذ ستة عشر شهراً، وهو ما حرم الخزينة الفلسطينية من مصدر دخلها الرئيس. وفي هذا الإطار، أوضح سلامة أن الحكومة باتت تعمل بإيرادات لا تتجاوز 850 مليون شيكل شهرياً، بينما تبلغ احتياجاتها الفعلية نحو 1,5 مليار شيكل، الأمر الذي دفعها إلى الاكتفاء بصرف 50% من رواتب الموظفين، مؤكداً أنها لن تتمكّن من تجاوز هذه النسبة حتى نهاية العام. وتكشف هذه الأرقام أن الحكومة استنفدت تقريباً جميع أدواتها المالية، بعدما بلغت سقف الاقتراض، ولم يعُد أمامها سوى البحث عن مصادر تمويل إضافية، أو رفع الإيرادات المحلّية، أو انتظار دعم خارجي، في وقت تتواصل فيه الضغوط الإسرائيلية على الموارد المالية الفلسطينية.

المحروقات... الأزمة التي خرجت إلى الشارع

امتدّت الأزمة المالية بصورة مباشرة إلى قطاع المحروقات، حيث شهدت الضفة الغربية اضطرابات في التوريد ونقصاً في الوقود. وعزا وزير المالية تلك الاضطرابات إلى تقليص إسرائيل عدد ناقلات المحروقات، إضافة إلى أزمة فائض الشيكل، بينما أقرّ بوجود عمليات تهريب، معلناً أن الحكومة تدرس إنشاء شركة حكومية للمحروقات تتولّى العمليات التشغيلية، مع إبقاء الدور التنظيمي والرقابي لـ«هيئة البترول». ورغم تقديمه إياه باعتباره خطوة إصلاحية، فإن هذا الطرح يثير تساؤلات حول توقيته وجدواه، وما إذا كان يمثّل معالجة استراتيجية أم استجابة متأخّرة لأزمة تفاقمت خلال الأشهر الماضية على خلفية القيود الإسرائيلية المفروضة.

على أيّ حال، تكشف الملفات الأربعة التي عرضها وزير المالية أن الأزمة الحالية ليست طارئة، بل هي نتيجة مباشرة لحال متجذّرة يعيشها الاقتصاد الفلسطيني منذ عقود، عنوانها غياب السيادة النقدية والمالية، واعتماد المفاصل الاقتصادية الأساسية على قرارات الاحتلال. وفي ظلّ هذا الواقع، يبدو قول الوزير إن الأزمة المصرفية تمثّل «مسألة حياة أو موت» وصفاً دقيقاً للمرحلة، وإقراراً رسمياً متأخراً بحجم الأزمة التي يعيشها الفلسطينيون منذ سنوات. على أن هذه التصريحات كشفت، في الوقت نفسه، أن سلطة رام الله لا تزال تتحرّك ضمن هامش ضيّق يعتمد على إجراءات قد تخفّف من آثار الأزمة، لكنها غير قادرة على معالجتها من جذورها، أو اجتراح رؤية في مقابلها تقلّل من الارتهان البنيوي للاقتصاد الإسرائيلي.

على الغلاف

هدفا الإبادة والتهجير باقيان

«اتفاق غزة»: مرونة المقاومة لا «تقنع» إسرائيل

غزة - **يوسف فارس**

لم ينتظر الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، إقفال ملفات الخلاف العالقة في مفاوضات «المرحلة الثانية» من اتفاق «وقف إطلاق النار» في قطاع غزة، الجارية في القاهرة، ليعلن، مساء الخميس، التوصّل إلى ما وصفه بـ«الاتفاق التاريخي». وإذ حصر ترامب جوهر هذا الاتفاق في «النزع الكامل» لسلاح حركة «حماس» وسائر «الجماعات المسلّحة» في القطاع، معتبراً أن هذه الخطوة تمثّل محطة «مفصلية» على طريق تحقيق «السلام والأمن الدائمَين لإسرائيل وجيرانها»، فهو لم يتطرّق إلى بقية عناصر خريطة الطريق، التي تربط عملية نزع السلاح بالانسحاب الإسرائيلي، وإدخال «لجنة إدارة غزة» و«قوات الاستقرار الدولية»، والشروع في عملية إعادة الإعمار. وأضاف ترامب أن الاتفاق «يشكّل خطوة حاسمة نحو تولّي حكومة فلسطينية جديدة إدارة القطاع»، مشيراً إلى أن تلك الحكومة ستعمل «بالتعاون الوثيق مع مجلس السلام لمساعدة الشعب الفلسطيني»، فيما ستحصل إسرائيل على «الأمن الذي تستحقّه، مع عدم استخدام غزة بعد الآن كقاعدة للهجمات الإرهابية»، على حدّ قوله.

في موازاة ذلك، نشر «مجلس السلام» بياناً مطولاً تضمّن بنود خريطة الطريق التي يُفترض توقيعها خلال الأيام المقبلة. وبحسب البيان، تستند الخريطة هذه إلى مبادرة ترامب «الشاملة لتحقيق السلام»، التي أيّدها قرار «مجلس الأمن الدولي» الرقم 2803 (2025)، وهي تهدف إلى إنهاء الحرب، وتأمين الانسحاب الإسرائيلي الكامل من قطاع غزة، واستعادة الحياة الطبيعية، وتمكين الحكم الفلسطيني، وإعادة الإعمار، وتحقيق الأمن والتعافي والتنمية الاقتصادية، وإعادة تأهيل القطاعات المتضرّرة، و«تسهيل إطلاق مسار سياسي موثوق بغضي إلى تقرير المصير وإقامة الدولة».

ووفقاً للبنود التي نشرها «مجلس السلام»، يتعيّن على إسرائيل استكمال جميع التزاماتها المتبقّية بموجب «اتفاق شرم الشيخ». وفي مقدّمها وقف العمليات العسكرية - تمهيداً للانتقال إلى «المرحلة الثانية» من الاتفاق، وذلك خلال 14 يوماً من إقراره. وتشمل هذه المرحلة دخول «اللجنة الوطنية لإدارة غزة»، وتشكيل لجنة دولية للتحقّق من تنفيذ عملية نزع السلاح، تضمّ ممثلين عن «مجلس السلام» والدول الكفيلة والوسطاء و«قوة الاستقرار الدولية». كما تنص الخطة على أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى يبقى مشروطاً باستكمال الالتزامات المنصوص عليها في كلّ منها والتحقّق منها من قبل «اللجنة الدولية»، التي تتولّى أيضاً مراقبة تنفيذ الاتفاق عبر «آلية رقابة معزّزة».

وفي مقابل ذلك، تلتزم «حماس» وفصائل المقاومة بالتخلّي عن جميع مهام الحكم المدني والأمني في القطاع لصالح «لجنة إدارة غزة»، التي تتولّى، بدورها، إدارة المؤسّسات المدنية، بما فيها معاملة جميع الموظفين المدنيين قانونياً وبشكل عادل وبكرامة في ما يبقى مشروطاً بالتزام إسرائيل الكامل بتنفيذ جميع بنود «المرحلة الأولى». وفي ما يتعلّق بملف السلاح، أوضحت «حماس» أن «الموافقة على إدراج ملف السلاح الثقيل في إطار الاتفاق قد رُبطت واشتُرطت بوقف جميع أشكال العدوان، والانسحاب من قطاع غزة، وتحقيق التعافي المبكر، ودخول اللجنة الإدارية، وانتشار قوات الحماية الدولية، وحلّ العصابات المسلحة والميليشيات التي شكّلها الاحتلال، وإعادة الإعمار، وضمان حق تقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلّة، وحماية حقوق المواطنين».

ورغم التنازلات التي قدّمتها فصائل المقاومة بموجب الاتفاق، أحدث الإعلان عن هذا الأخير أصداء سلبية واسعة داخل الكيان، وفتح، مبكراً، بازار المزايدات السياسية والدعاية الانتخابية المرتبط بالاستحقاق الانتخابي المقبل. وفي السياق، قال رئيس الأركان الإسرائيلي السابق وزعيم «حزب يشار»، غادي آيزنكوت، إن أيّ اتفاق مرتقب «سيخضع لاختبار واحد»، يتمثّل في «مدى تحقّق أهداف الحرب وهي تدمير القوة العسكرية والحكومية لحماس أو تفكيكها»، معتبراً أن أيّ نتيجة تقلّ عن ذلك تعني «الفشل». كما انتقد عدم عرض حكومة نتنياهو تفاصيل الاتفاق على الجمهور، متسائلاً عمّا إذا كانت إسرائيل شريكاً حقيقياً فيه، أم أنها أُجبرت على القبول به كما حدث في اتفاقات سابقة، بحسب تعبيره. وأعلن وزير «الأمن القومي»، إيتمار بن غفير، بدوره، رفضه القاطع للصيغة المتداولة، معتبراً أنها «غير مقبولة إطلاقاً» بالنسبة إلى إسرائيل.

وبالتوازي مع المواقف السياسية، سادت وسائل الإعلام العبرية موجة من السخرية والتشكيك في إمكان تنفيذ البنود المعلنة. وقال الصحافي أرييه إلداد، خلال مقابلة على إذاعة «103 إف إم»، ساخراً: «مبارك، لقد حلّ السلام الجديد في ربوعنا. يا لها من فرحة. ربّما أذهب اليوم إلى مادبة احتفال بهذه المناسبة». أمّا الصحافي رون كوفمان، فقال: «أنا مضطر إلى أخذ استراحة، لأن أول ما فعلته هو أنني أسرعتُ لإنزال الغسيل حتى لا يلوثه برازُ حمامة السلام»، متسائلاً بسخرية: «هل ستأتي حماس مع مرشدين سياحيين وتأخذ الممثلين في جولة داخل جميع الأنفاق؟». وأضاف كوفمان أن السيناريو المتوقع لن يتعدّى تسليم «شاحنة فيها 372 بندقية كلاشينكوف تبدو في الصور كأنها كمية هائلة من السلاح، وسيضعونها في مستودع ويغلقونه، ثمّ يسلّمون المفتاح إلى ممثل «مجلس السلام»، وسيحتفظون بنسخ من مفتاح المستودع، وهم بالفعل لا ينوون فعل أيّ شيء آخر».

وفي خضمّ هذه الانتقادات، التزم رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، الصمت، فيما نقل مصدر سياسي في مكتبه أنه «لن يكون هناك أيّ انسحاب للجيش الإسرائيلي من الخط الأصفر الحالي من دون تفكيك حقيقي لسلاح حركة حماس».

وإذ لا يبدو أن الاتفاق، الذي ينظر إليه كثير من الغزيين باعتباره «بشرى» بوقف فصول الإبادة المستمرّة منذ نحو ثلاثة سنوات، يحظى بإعجاب أيّ من طرفيه، فإنه، من وجهة نظر واقعية وسياسية، لا يعدو كونه مناورة حسّاسة وخطيرة من طرف المقاومة، أصابت حتى الإسرائيليين بالذهول، وفق ما قالته صحيفة «هآرتس». ولربّما يمكن تفسير تلك المناورة بإكراهات الواقع الذي أنتجته الحرب، والذي أضعف إمكانية اللجوء إلى العمل المقاوم بنسقه المعتاد، وذلك لمجموعة من الاعتبارات، هي الآتية:

- إنهاك الحاضنة الشعبية من جرّاء الحرب، وتحوّل ردة الفعل الإسرائيلية على أيّ فعل مقاوم إلى سلوك إبادي.

- انعدام الظروف والبيئة التي أنتجت النسق المقاوم بشكله الذي ساد خلال الـ18 الماضية، وأهمّها انسحاب إسرائيل من غزة، وسيطرة حركة «حماس» على القطاع، وامتلاكها الموارد الاقتصادية والمقاصل الأمنية والمقدّرات العامة التي سمحت ببناء مقاومة تجمع بين النمطين المنظّم والهجين والبناء الهرمي المترابط. أمّا الآن، فلا يمكن، على سبيل المثال، بناء الأنفاق أو إعادة ترميمها، خصوصاً أن إسرائيل تمنع دخول كلّ المواد الخام ذات الصلة بالبناء، وتفرض رقابة مشدّدة حتى على دخول 100 ليتر من زيت السيارات ومولّدات الكهرباء.

- انعدام العمق الجغرافي الآمن للعمل التقليدي، في ظلّ سيطرة إسرائيل على ما نسبته 70% من مساحة القطاع، وحشر مليوني إنسان في أقلّ من 30% من تلك المساحة. ومعنى ذلك، أنه لو امتلكت المقاومة، على سبيل المثال، صاروخاً محلّي الصنع، فإن إمكانية إطلاقه من وسط خيام النازحين مستحيلة. كما أن عمق المناورة لأيّ عملية دفاعية أو هجومية في واقع كهذا غير متاح.

يضاف إلى ما تقدّم، أن المقاومة فقدت، بعد سيطرة الاحتلال على مدينة رفح و«محور فيلادلفيا»، خطّ الإمداد الحدودي الوحيد، فيما لم تعُد عملية تعويض الفاقد والحصول على المواد الخام عبر التهريب متاحة مطلقاً. كما فقدت المقاومة، خلال ثلاث سنوات من الاستنزاف، كمّاً كبيراً من ذخائرها، ووصلت إلى مرحلة كانت تقاتل فيها حتى بالسلاح الأبيض وباللحم الحي.

وعليه، يرى البعض أن السلاح اليوم في غزة يؤدي دوراً معنوياً، مرتبطاً بشرعية المقاومة وهوية المنتصر والمهزوم وليس أكثر من ذلك. كما يرى هؤلاء أن المقاومة تريد اليوم توظيف السلاح بطريقة عكسية، أي بما يمكن أن يحقّق انسحاباً إسرائيلياً من غزة، ووقف القتل وإعادة الإعمار وضمان حقوق الموظفين، والأهمّ، عدم العودة إلى فصول الإبادة. وهذا ما عبّر عنه القيادي في «حماس»، باسم نعيم، بقوله إن ما تمّ تحقيقه لم يكن المأمول من العمل المقاوم برمّته، لكنه «المساحة بين منع عودة الحرب والحفاظ على مشروعنا الاستراتيجي».

أمّا على المقلب الإسرائيلي، فإن نتنياهو - المحاصر بالحرج من كل جانب، يعدّ آخر من يريد اتفاقاً كهذا، ذلك أن السقف الذي يمكن أن يجلب لصاحبه توفقاً في الانتخابات المقبلة - في ظلّ انزياح معظم الجمهور الإسرائيلي نحو تبنّي طروحات اليمين - ليس أقلّ من إبادة ما تبقّى من غزيين وتهجير البقية وإعادة الاستيطان في القطاع. وهذا هو شكل «الانتصار المطلق» الذي من شأنه محو عار السابع من أكتوبر؛ وأمّا ما دونه، فالنكوص والهزيمة. ولذا، يبدو أن نتنياهو يراهن على البحث عن ثغرة عدم التزام «حماس» ببنود الاتفاق، ليعود إلى تفريغه من مضمونه من جديد.

ينظر كثير من الغزيين إلى الاتفاق باعتباره «بشرى» بوقف فصول الإبادة المستمرة منذ نحو ثلاثة سنوات (أ ف ب)

> سادت وسائل الإعلام العبرية موجة من السخرية والتشكيك في إمكان تنفيذ البنود المعلنة

تقرير

كارثة سبتة: مَن المستفيد من إحراج إسبانيا؟

فراس الشوفي

أعادت صور عبور آلاف المهاجرين المغاربة للحدود بين المغرب ومدينة سبتة الواقعة تحت السيادة الإسبانية، مشاهد موجات الهجرة التي اجتاحت البحر المتوسط في السنوات الماضية، انطلاقاً من سوريا والسودان وليبيا. إلا أن هذا الطور الجديد من التعقيدات في مثلث جبل طارق ومحيطه، يعيد تسليط الضوء على الكثير من الملفات الإقليمية والدولية العالقة، من العلاقة الإسبانية - المغربية - الجزائرية، وموقع مضيق جبل طارق وأهميته في الملاحة عبر البحر الأبيض المتوسط، وصولاً إلى موقع إسبانيا نفسها ودورها الحالي في أوروبا وعلاقتها بالاتحاد والولايات المتحدة. وتتعزّز تلك التعقيدات في ضوء تصاعد نزعات اليمين الأوروبي ضدّ المهاجرين، والتطوّرات التي عصفت بالعالم بعد الحرب الروسية - الأوكرانية ووصول دونالد ترامب إلى سدّة الرئاسة.

ولا يمكن فصل تطوّرات اليومَين الماضيين، عن التوتر المغربي - الإسباني العلني والخفي، ومطالبات المغرب الدائمة باستعادة سبتة ومليلية والجزر الجعفرية الواقعة مقابل السواحل المغربية من أيدي إسبانيا. كما لا يمكن عزل التطورات نفسها عن التقارب المغربي - الإسرائيلي الذي يبدو في عزّه، والتوتر الإسرائيلي - الإسباني والتقارب الإسباني - الجزائري، فضلاً عن المواقف الإسبانية الرافضة للحرب الإسرائيلية على فلسطين ولبنان وسوريا، ومعاندة مدريد رغبات ترامب في توظيف القدرات الأوروبية في الحرب ضدّ إيران.

ولم تعُد خافية، أيضاً، حال «الغيرة» المتزايدة في أوروبا الغربية من الصعود الاقتصادي الإسباني في ظلّ الحكومة شبه اليسارية الحالية للرئيس بيدرو سانشيز، لا سيّما من قبل فرنسا وألمانيا وإيطاليا على وجه الخصوص. كما يَظهر واضحاً ما يولّده الموقف الإسباني من حرج للدول الثلاث المذكورة تجاه قضايا الهجرة وتصاعد اليمين والمسألة الفلسطينية. ومن ثمّ، جاء فوز إسبانيا بكأس العالم في كرة القدم، وخروج أبرز الفرق الأوروبية الأخرى خاسرة من البطولة، ليضيف طبقة من التوتر الخفي تجاه مدريد لدى بعض جماعات اليمين الأوروبي. ويعيد استثارة تنافس قومي وسياسي قديم، بعدما صُوِّر للعالم أن أوروبا الحديثة تجاوزت التنافسات القومية والتراكمات الجيوسياسية والتاريخية لصالح اتحاد أوروبي حقيقي.

ولعلّ ممّا عزّز الميل الإسباني إلى اعتبار ما حصل رسالة سياسية وأمنية موجّهة ضدّ مدريد، عبر تشابك مصالح بين العديد من الأطراف المعادية والمنافسة، وقائع عملية اختراق الحدود نفسها من قِبل أكثر من خمسين ألف مهاجر، وردود الأفعال التي تلت ذلك من دول تفترض مدريد أنها معها في المركب نفسه، مثل إيطاليا (التي أعلنت، مساء أمس، تعليق اتفاقية شنغن مع إسبانيا). وبحسب المعلومات المتداولة في بعض الدوائر الأمنية الغربية، فإن عملية إغراق المنشآت الحدودية الإسبانية في سبتة حصلت بشكل مدروس من أجل تحقيق اختراقات متعدّدة في وقت متزامن لأطواق الحماية، وإرباك حرس الحدود الإسباني ودفعه إلى اتخاذ إجراءات متسرعة؛ وهذا ما لا يمكن الأفراد المهاجرين وعصابات تهريب البشر أن تقوم به لوحدها من دون معطيات حاسمة حول البنية الأمنية البشرية واللوجستية الإسبانية على الحدود مع المغرب في سبتة. كذلك، تَجري الإشارة إلى دور سلبي أدّته بعض الأجهزة الأمنية والعسكرية المغربية في تسهيل الاندفاعة البشرية نحو أماكن محدّدة من الحدود مع سبتة، خصوصاً أن العديد من مقاطع الفيديو تُظهر انتقال أعداد كبيرة من المهاجرين من مناطق قريبة من الحدود بالشاحنات والمراكب، على مرأى ومسمع من عناصر الشرطة وحرس الحدود المغاربي، من دون أن تقوم القوات المغربية بأيّ محاولات للحدّ من التدفّقات - رغم تطوّر علاقات التنسيق الأمني الإسباني المغربي مؤخّراً. وتأتي الشكوك الإسبانية هذه، غداة حادثة مشابهة اشتبهت مدريد إبّانها في تسهيل المغرب عبور آلاف المهاجرين في عام 2021، كردّ على استضافة إسبانيا زعيم «جبهة البوليساريو» بقصد العلاج.

> تُظهر الحملة الحالية تقاطع إسرائيل مع اليمين الأوروبي المتطرّف في التحريض ضدّ الهجرة

الأكيد أن هذه الأحداث تشكّل إحراجاً كبيراً للحكومة الإسبانية ولسانشيز شخصياً، الذي يستعدّ لخوض الانتخابات العامّة في أيار العام المقبل، وتوفّر ورقة قوّة للمعارضة اليمينية التي استنفرت لتحميل سانشيز المسؤولية، واستغلال ما حدث لمهاجمة قرارات حكومته ومحاولاتها تخفيض أعداد المهاجرين غير الشرعيين بمعاجلة ملفّات حوالي مليونَي مهاجر غير شرعي داخل إسبانيا.

أمّا إسرائيل التي طوّرت علاقاتها بشكل كبير مع المغرب في الأعوام الأخيرة، فسارعت بدورها إلى محاولة استغلال الأحداث، وتصفية الحساب مع حكومة سانشيز، وذلك على خلفية تصاعد التوتر بين الطرفين، وتراجع العلاقات الأمنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، والدعم المعنوي العلني الذي تقدّمه إسبانيا للفلسطينيين. ولوحظت، في اليومَين الماضيَين، هجمة إعلامية من منصّات إسرائيلية وحليفة لإسرائيل في أوروبا على إسبانيا، في استكمال للحملة الإعلامية المستمرة في الأعوام الأخيرة من الإعلام المحسوب على تل أبيب والمقرّب منها. وتشبه الحملة الحالية، تلك التي رافقت التظاهرات المؤيّدة للفلسطينيين في أوروبا والولايات المتحدة، والتي شارك فيها الكثير من المهاجرين المسلمين والعرب، في عزّ الأحداث بعد 7 أكتوبر؛ وهي تُظهر تقاطع إسرائيل مع اليمين الأوروبي المتطرّف في التحريض ضدّ الهجرة. والدفع نحو اتّخاذ خطوات قانونية متشدّدة في هذا الملف، واتخاذه ذريعة أيضاً لقمع الأصوات المعارضة للدولة العبرية.

حصلت عملية إغراق المنشآت الحدودية الإسبانية بشكله مدروس من أجل دفع حرس الحدود إلى اتخاذ إجراءات متسرعة (أ ف ب)

شكوك في التنفيذ

الاتفاق رهن الضغط الأميركي

يحيى دبوق

تحمل بنود الاتفاق المتعلّق بملفّ سلاح المقاومة في قطاع غزة، وترتيبات المرحلة المقبلة في القطاع، إيجابيات لا يمكن تجاهلها، لكنها تواجه سيلاً عارماً من التشكيك، خصوصاً أن إسرائيل، التي يُفترض أن تكون طرفاً فيها، ليست موقّعة عليها. ويبدو أن تل أبيب أعفيت من التوقيع العلني على وثيقة تفرض عليها التزامات، تدرك هي مُسبقاً أنها غير قادرة أو غير راغبة في الوفاء بها. ومن هنا، تُبرز التساؤلات حول ما سيؤول إليه هذا الاتفاق، الذي يبدو طريق تطبيقه مليئاً بالمخاطر والعقبات ومحطّات التصعيد المحتملة، وما إذا كانت الولايات المتحدة ستستخدم أوراق ضغطها في اتجاه إنجاحه، في وقت تُواصل فيه إسرائيل البحث عن أي مبرّر للتنصّل من استحقاق الانسحاب من غزة، وتتعامل مع الوضع الحالي على أنه يمنحها أفضلية للبقاء والسيطرة على الجغرافيا.

بالنسبة إلى إسرائيل، تكمن المشكلة الحالية في أن الاستحقاقات الانتخابية الداخلية لا تسمح بإعلان التزامات سياسية جوهرية قد تُفسَّر على أنها تنازلات، في حين تبدو مضطرّة إلى مسايرة الضغط الأميركي، الذي تمثّل آخر وجوهه في حديث مسؤول أميركي رفيع المستوى عن أن «الرئيس دونالد ترامب سيشعر بخيبة أمل كبيرة إذا لم تلتزم تل أبيب بالاتفاق». ويتمحور الخلاف بين إسرائيل من جهة، والولايات المتحدة والوسطاء من جهة أخرى، حول مصير السلاح بعد تسليم الفصائل إيّاه؛ فبينما تقبل واشنطن والقاهرة والدوحة بالصيغة التي تسمح بتخزينه في مستودعات خاصة تحت إشراف قوة دولية متعدّدة الجنسيات، ترفض تل أبيب ذلك النموذج المستوحى من اتفاقيات السلام في أيرلندا الشمالية، وتصرّ على إخراج جميع وسائل القتال من القطاع بالكامل. لا بل إن الخطاب الصادر عن المؤسسة السياسية واليمين المتطرّف، يربط أيّ استحقاقات مستقبلية بتفكيك حركة «حماس» كلياً بوصفها كياناً سياسياً وعسكرياً؛ وبالتالي فهو سيعدّ الاتفاق التفافاً على هدف الحرب الأساسي المتمثّل في القضاء على الحركة.

وكان كشف مسؤول في «مجلس السلام» أن الاتفاق ينصّ على أن عملية نزع السلاح ستستغرق ما بين 200 و350 يوماً، وستتمّ على مراحل تبدأ بتسليم الشرطة الزرقاء التابعة لـ«حماس» سلاحها إلى الشرطة الفلسطينية الجديدة التي ستعمل تحت إمرة حكومة التكنوقراط، ثمّ الانتقال إلى السلاح الثقيل الذي سيتمّ تخزينه بشكل آمن، توازياً مع تفكيك الأنفاق ومصانع السلاح، وأخيراً جمع السلاح الخفيف، وفق القانون الفلسطيني. ويبدو أن موافقة «حماس» وبقية الفصائل على تلك المسوّدة، تعود إلى رغبتها في إبداء مرونة تكتيكية يمكن أن تفضي إلى وقف العدوان، وإن مع ربط ملفّ السلاح بمسار سياسي شامل. وفي هذا الإطار، رهنت الفصائل بدء عملية الحصر والتخزين باستكمال الالتزامات الإسرائيلية، ودخول «اللجنة الوطنية» إلى غزة، وانتشار «قوة الاستقرار الدولية» في القطاع. كما أكد المفاوضون الفلسطينيون أنه لن يتمّ اتّخاذ أيّ خطوة تتعلّق بالسلاح قبل انسحاب قوات الاحتلال، مع التشديد على عدم تسليم أيّ عتاد لإسرائيل، أو لأيّ أطراف غير فلسطينية.

> الاستحقاقات الانتخابية الداخلية لا تسمح لحكومة اليمين بإعلان التزامات سياسية جوهرية

وسبق أن تحدّثت التسريبات الإعلامية الإسرائيلية عن أن قيادة «حماس» وجّهت رسالة إلى البيت الأبيض، تطلب فيها «هدنة» طويلة الأمد تُراوح بين 10 و20 سنة، تلتزم خلالها إسرائيل بعدم شنّ هجمات على القطاع أو اغتيال القيادات، وتبدأ بسحب قواتها تدريجياً، في مقابل التزام الحركة بتسليم سلاحها. ومن أجل ضمان نجاح عملية الانتقال الإداري، اقتُرح أن تدفع الدول العربية ملايين الدولارات كمكافآت تقاعد لموظفي «حماس» الذين سيُستبدلون باللجنة التكنوقراطية الجديدة، وهو ما يعادل آلية عملية لتفكيك البنية الإدارية للحركة، من دون إثارة مقاومة داخلية. لكن هذه المسائل المالية والإدارية، بما تشتمل عليه من تدقيق في أوضاع الموظفين في القطاع، ومعالجة للالتزامات تجاه الموَرّدين، تبقى ملفات شائكة تتطلّب سنوات من العمل التدريجي. كما أن الحديث الإسرائيلي المتصاعد حول تشجيع الهجرة الطوعية، والاستيطان في غزة، يعكس نيات مُبيّتة تتناقض مع روح الاتفاق. ويُضاف إلى ما تقدّم، اعتقاد ضباط كبار في جيش الاحتلال، وفقاً للمعلومات المنشورة في الإعلام العبري، بأن الصيغة المطروحة لا تضمن تفكيك «حماس» بالكامل، وأنها تترك مجالاً للحركة لإعادة بناء نفسها مستقبلاً.

استهداف شامل وردّ جزئي

سعد الله مزرعاني *

في سياق متصل ومتواصل بدأ بانهيار الاتحاد السوفياتي في صيف عام 1991، انتهت حقبة «الحرب الباردة» والثنائية القطبية، وبدأت مرحلة القطبية الاحتكارية الأميركية. فترة التسعينيات رسّخت انهيار المنظومة السوفياتية وانقسام أو تقسيم بعض بلدانها (تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا). شهدت أيضاً الابتلاع السياسي والاقتصادي لمعظم الدول التي كانت تدور في الفلك السوفياتي. هي شهدت كذلك محاولة إضعاف روسيا واحتوائها وتفتيتها ونهبها بما يحيلها إلى دولة فاشلة تحكمها المافيات في الداخل، وواشنطن من الخارج... استغرقت هذه الحقبة نحو عقد من الزمن لتبدأ، بعدها، حقبة «الحافظين الجدد» برئاسة بوش الابن (2001 - 2009). بلور هؤلاء استراتيجية هجومية عالمية جوهرها وضع قوة أميركا في خدمة هيمنتها الاقتصادية وسيطرتها السياسية، بكل الوسائل: بما في ذلك الحروب «الوقائية» أو «الاستباقية». مشروع «الشرق الوسط الكبير» (من موريتانيا إلى باكستان) كان المنطلق. الهدف تمثّل في تصفية ما تبقّى من قوى وأنظمة وآثار المرحلة «التحررية» التي رفعت شعارات «الوحدة والحرية والاشتراكية» والتنمية المستقلة و«الحياد الإيجابي» والإصلاح الاجتماعي... شجّع هذا النهج انتكاس تجربة مصر الناصرية بعد وفاة رائدها، وتولي أنور السادات الانقلاب الشامل عليها. اعتمدت إدارة بوش من أجل ذلك الغزو العسكري المباشر. تمّ احتلال أفغانستان في أواخر عام 2002، والعراق في مطلع ربيع 2003.

مقاومة الغزو الأميركي، وصمود سوريا، وفشل غزو لبنان عام 2006، محطات قادت إلى استحضار الإرهاب الهمجي عبر «دولة الخلافة الإسلامية» في أجزاء واسعة من العراق وسوريا. مجازر الدبابات الإسرائيلية في سهل مرجعيون ووادي الحجير كانت عاملاً مهماً في إعاقة «ولادة الشرق الأوسط الجديد» خلافاً لما أعلنت وزيرة خارجية أميركا.

تبدّل أسلوب الغزو بالعنف والاحتلال واستحضار الإرهاب، لتبدأ، سريعاً، مرحلة الحرب «الناعمة»: «الربيع العربي» الذي كان قد اختُبر بنجاح في عدد من الجمهوريات السوفياتية السابقة. أطلقت القوى المخطّطة شعارات ضد الفساد والاستبداد والنهب..من قبيل التضليل والتمويه. استهدفت دولاً أكثر من سواها: مصر وتونس بسبب ترهّل سلطتيهما وازدياد النقمة الشعبية، ما كان يهدّد بانفجار غير مسيطر عليه. لبنان بسبب دور المقاومة فيه. سوريا بسبب موقفها، موقعها الاستراتيجي... ليبيا، اليمن (ولاحقاً الجزائر والسودان) للتخلص من قادة نزعات استقلالية، وللنيل من الوحدة الداخلية، وللسيطرة على الثروات... سياسات خبيثة تكشّفت عن مخطط تفتيت وتعطيل وإضعاف، وصراعات داخلية لا تنتهي: ذات طابع طائفي ومذهبي وإثني وقبلي ومناطقي... الخليج وحده بقي خارج المشهد نسبياً، رغم أن أنظمته هي الأكثر حاجةً إلى الإصلاح وافتقاراً إلى أبسط حقوق الإنسان والعدالة والحداثة التي عاد ليرفع لواءها محمد بن سلمان (الذي لا يقارن هول إقدام أجهزته على اغتيال خاشقجي في تركيا بإقدام البوعزيزي، نتيجة القمع، على الانتحار في تونس). الأسوأ أن كوارث هذه «الثورات» المضلّلة لم تنته بعد، إلاّ في سوريا حيث استُبدل ديكتاتور بإرهابي، وفي مصر وتونس إلا بإحكام سلطة العسكر الموالي لواشنطن، وفي البحرين والمغرب إلا بالانضمام إلى الاتفاقيات الإبراهيمية!

مع الرئيس الأميركي الحالي، بدأت الحقبة الأخيرة المستمرة الراهنة. إنها حقبة تفاقم عجز الولايات المتحدة عن منافسة العملاق الصيني ومواجهة تحدّيات متزايدة أخرى. يقترن ذلك بتعزّز الاتجاهات العنصرية اليمينية ببعد صهيوني في واشنطن. ذلك كان أساسياً في تمكين ترامب من الوصول إلى البيت الأبيض، ومن ثم في تجديد رئاسته، وفي مضاعفة دعم واشنطن للمشروع الصهيوني لإنشاء «إسرائيل الكبرى»: بالإرهاب والتوسع وفرض «الاتفاقيات الإبراهيمية» وحرب الإبادة الوحشية في فلسطين ولبنان.

في مجرى حقب المسار الاستعماري المذكور، بقيادة واشنطن، تراكمت الخسائر والهزائم والصراعات والتوترات في معظم البلدان العربية التي شملتها حروب الغزو والاحتلال والنزاعات الداخلية والتدخلات الخارجية. العالم العربي يعاني من ضعف متفاقم ومن عجز متعاظم. لا حصانة داخلية في دوله. لا تنسيق في ما بينها. الجموح الأميركي، وخصوصاً في ولايتي ترامب، عطّل مؤسسات ما يُسمى بـ«الشرعية الدولية» لمصلحة واشنطن التي يختصر إدارتها وإرادتها فرد أرعن وغير مُتّزن!

دفع هذا المشهد الكئيب والمُقلِق الطرف الفلسطيني المقاوم، والمُحاصر في غزة إلى حدود الاختناق، لتنفيذ عملية «طوفان الأقصى». شكّلت هذه العملية محاولة لكسر الطوق الذي يشتد حول رقبة الشعب الفلسطيني بهدف تصفية قضيته بشكل كامل. حفّز ذلك تضامناً من قبل «محور المقاومة» اتّخذ شكل خطوات لم تكن تقع ضمن خطة مُعدّة ومتكاملة لإدارة مواجهة مُنسّقة وفعّالة بحجم التحدّي الذي أطلقه الفريق المعادي. أمّا السلطات العربية، فقد لازمت ما يمكن تسميته «صمت القبور». يشمل ذلك المُطبّعين والمرشّحين للتطبيع و«الحياديين» إزاء الصراع العربي – الإسرائيلي تقليدياً! ثمة طرف أساسي آخر غائب عن الحضور والفعل والتأثير هو الطرف الوطني الشعبي التحرري العربي. هذا ما ينبغي التوقف بشأنه ملياً وجدّياً!

لا يقلّل هذا التوصيف من دور القوى التي ما غادرت الميدان. لا يقلّل خصوصاً من تضحيات وصمود الشعب الفلسطيني ومقاومته اللذين استطاعا، بعظيم الآلام والبطولات، أن يستدلا سخطاً غير مسبوق على جرائم العدو وداعميه والمتواطئين. لا يقلّل، أيضاً، من أهمية الدعم والإسناد من قبل «محور المقاومة» في لبنان واليمن وإيران على وجه الخصوص. لكنّ شراسة وإجرام الأعداء يتطلّبان انخراط قوى سياسية وشعبية أكبر وفق خطة شاملة ومتماسكة. المعركة صعبة ومصيرية. المراجعة مطلوبة من جميع المُستهدفين بما يوفّر أصح وأفعل وأوسع دور ومشاركة. التاريخ لا يرحم المتفرّج أو القاعد أو المتواطئ... وللبحث صلة.

* كاتب وسياسي لبناني

اتفاق الإطار اللّبناني - الإسرائيلي: هل يصبح لبنان مُستعمَرةً إسرائيليّة؟ [4]

أسعد أبو خليك *

البند الثالث من اتّفاق الإطار يشرح كيف يصبح لبنان مُستعمرة إسرائيليّة وكيف يصبح بنوه رهائن بيد جيش الإبادة الإسرائيلي. يقول بالحرف: «بعد تأكيد نزع سلاح ناجح للمجموعات المسلّحة خارج الدولة وتفكيك بناها التحتيّة في هذه المناطق، سيتسلّم (لاحظوا لهجة الأمر الإسرائيليّة فيما كان مفترضاً أن يكون بياناً مشتركاً من لبنان وإسرائيل وأميركا، وهذه اللّهجة لم تُستعمل مرّة في نصّ الاتّفاق لمطالبة إسرائيل بأيّ شيء على الإطلاق) الجيش اللّبناني مسؤوليّة أمن كامل وفعّال في تلك المناطق، عندها ستبدأ جهود إعادة الإعمار المدعومة دوليّاً وسيكون بمستطاع المدنيّين اللّبنانيّين العودة الآمنة لهذه المناطق تحت سيطرة وحيدة لسلطات الدولة اللّبنانيّة». أي إنّ إسرائيل تقرّر متى يبدأ الإعمار ومتى يعود السكّان بناءً على تنفيذ الجيش للأوامر. وعودة السكان والإعمار مشروطان بموافقة إسرائيل. سمحت الدولة لإسرائيل بإملاء هذا الشرط من دون أيّ اعتراض منها. ولا يذكّر الاتّفاق الثمن الذي يمكن أن يدفعه الجيش والوطن بسبب الأوامر الإسرائيليّة. وفي البند الرابع، تأخذ الدولة اللّبنانيّة الكلام وتقول إنّها «تؤكّد التزامها الصارم وغير القابل للرجعة لفرْض ممارسة السيادة على أراضيها». وتكرّر عزْمها على «فرْض سيادتها على كلّ أراضيها»، لكنْ أن تؤكّد الدولة اللّبنانيّة ذلك أمام دولة أجنبيّة، تكون قد وضعت نفسها تحت سلطة الدولة الأخرى. هي تقدّم طاعتها ورغبتها بتنفيذ أوامر الدولة

(مروان بو حيدر)

> صحيح أنّ البند السابع يتحدّث عن حقّ الدولتين، حتى بوجود اتّفاق الإطار، في الدفاع عن النفس. لكنّ البند يعني حقّ إسرائيل فقط، لأنّ لبنان تخلّى عن حقّه في البنود التي سبقت. ولتأكيد ذلك، يضيف هذا البند، أنّه لا حقّ لأيّ طرف ثالث (خارج نطاق الدولتين) في الدفاع عن النفس بالنيابة عن الدولة

في رفع دعاوى وشكاوى ضدّ دولة إسرائيل. لكنّ صمت حكومة لبنان على هذا البند يعني ستكون لديها المسؤوليّة الحصريّة في الحفاظ على أمن لبنان والدفاع عنه، وأنّها ستحتفظ بحرّية اتّخاذ قرار الحرب والسلم. هذا الكلام المُخادع لا يمكن أن ينطلي: هو يعني أنّ حكومة لبنان سلّمت لحكومة إسرائيل وراعيتها في واشنطن حقّ الإشراف على قوّاتها الأمنيّة وعلى جيشها لتنفيذ ما تطلبه منها إسرائيل، وأنّ قرار الحرب والسلم - الذي لم يكن يوماً منذ عام 1948 بيد دولة لبنان، ولا حتى بيد المقاومة الفلسطينيّة أو اللّبنانيّة- سيكون حصراً بيد حكومة إسرائيل، هي التي ستقرّر متى تشنّ الحرب على لبنان ومتى تتوقّف، مع مباركة من حكومة لبنان («شيك على بياض»). لكلّ الأعمال الحربيّة والإرهابيّة التي ستشنّها إسرائيل ضدّ لبنان. لا، وبدلاً من أن تردّ حكومة لبنان الساقطة على مزاعم إسرائيل وأباطيلها، قرّرت في البند الخاص بعرْض وجهة نظرها، أن تردّ على طرف لبناني لأنّه يعادي إسرائيل. تقول حكومة لبنان إنّها ترفض حقّ أيّ طرف خارج الدولة في استعمال العنف بالنيابة عنها من دون «إذن صريح» منها. وتضيف حكومة لبنان أنّ أيّ عمل عُنفي من قبل أيّ طرف لبناني هو عمل غير قانوني. ما تقوله حكومة لبنان هنا إنّه لا يحقّ لأهل الجنوب الدفاع عن أرضهم (وليس من حقّ الجيش اللّبناني الدفاع عن أرض لبنان، كما نرى في حالة حصريّة السلاح الحالية حيث تتحرّك قوّات الجيش اللّبناني بناءً على أوامر وتوصيات إسرائيليّة، ولا يحقّ لجيش لبنان الردّ برصاصة على أيّ عمل عدواني إسرائيلي على قواته الرسميّة، من قوى أمن وجيش). وإعلان عدم قانونيّة أيّ عمل عسكري خارج نطاق الدولة يعني تجريماً مطلقاً، من دون تحديد مدّة زمنيّة أو حالة سياسيّة، لأعمال الدفاع عن النفس في لبنان. حتى حقّ الدفاع عن النفس في أرض لبنان ممنوع على لبنان، كي يستقيم لإسرائيل فرْض سيادتها وهيمنتها بموافقة كلّية من حكومة لبنان الخانعة. صحيح أنّ البند السابع يتحدّث عن حقّ الدولتين، حتى بوجود اتّفاق الإطار، في الدفاع عن النفس. لكنّ البند يعني حقّ إسرائيل فقط، لأنّ لبنان تخلّى عن حقّه في البنود التي سبقت. ولتأكيد ذلك، يضيف هذا البند، أنّه لا حقّ لأيّ طرف ثالث (خارج نطاق الدولتين) في الدفاع عن النفس بالنيابة عن الدولة. هنا، ترى أنّ لبنان حرم الدولة وقوى المجتمع والأهالي من حقّ الدفاع عن النفس فيما اعترف بها في حالة إسرائيل فقط. إنّ هذا الاتّفاق هو ارتكاب فعل الخيانة وسيصنّفه التاريخ بهذه الصورة.

وفي البند الثامن، تدعو الحكومة اللّبنانيّة الحكومة الإسرائيليّة دعوةً رسميّةً للتدخّل الصفيق في كلّ شؤون لبنان. تقول: «إنّ البلدين يؤكّدان أنّهما يتشاركان في هدف تحقيق لبنان أمن ومُعاد بناؤه، وتحت السيطرة الكلية لسيادة الدولة اللّبنانيّة، حيث لا وجود لأيّ مجموعة مسلّحة خارج الدولة تشكّل تهديداً لإسرائيل ولبنان ولمواطني الدولتَين». في هذا البند، تحقّق فناء الذات اللّبنانيّة في الذات الإسرائيليّة، أو أنّ دولة لبنان تكفّ خُبثَين لا حبّاً واحداً لدولة لإسرائيل. وما شأن دولة لبنان لو أنّ مجموعة تشكّلت في لبنان لتهديد إسرائيل لفظياً؟ هذا البند هو تكرار لبند صريح في اتّفاقيّة 17 أيّار، والذي بموجبه حظرت إسرائيل على لبنان حريّة التعبير إذا كانت تتضمّن آراء سلبيّة أو معادية لإسرائيل. وتتحدّث المادة عن «عودة آمنة للسكّان المدنيّين وتحقيق الأمن للأهالي في شمال إسرائيل». إي إنّ الأمن هو حقّ لليهود الإسرائيليّين وليس للّبنانيّين على الطرف الآخر من الحدود اللّبنانيّة-الفلسطينيّة. هذه هي المساواة الظاهرة والكيل بمكيالين في المضمون: للسكان اللّبنانيّين العودة فقط، أمّا «الأهالي» (الجنوبيّون ليسوا أهالي) في دولة إسرائيل فهم يحظون بـ«الأمن» بضمان من حكومتي الاتّفاق المشؤوم.

تلتزم حكومة لبنان في المادة التاسعة بالـ«خضوع» لـ«برنامج صارم يعتمد على الأداء» للوصول إلى مرحلة «تصل فيها قدرات الجيش اللّبناني إلى نشر سيطرة عسكريّة وأمنيّة كاملة في لبنان بناءً على إجراءات أمنيّة» (طبعاً، بالتشارك مع دولة إسرائيل التي هي شريك في الحُكم في لبنان بعد توقيع الاتّفاق). وستقوم الدولة المأمورة بنزْع سلاح كلّ المجموعات المسلّحة خارج نطاق الدولة. لا، وتقول حكومة لبنان في البند هذا بأنّها «تركّب باستعداد الولايات المتّحدة للمساعدة في هذه الجهود». لا يمكن تصنيف مساعدة الحكومة الأميركيّة إلّا بالعمل الخيري. لكنّ المساعدات الأميركيّة مشروطة بـ«محطّات قابلة للتحقّق وشفافية كاملة ونتائج ظاهرة»، أي ظاهرة للعين الإسرائيليّة.

(تمّت)

* كاتب عربي
حسابه على إكس «@asadabukhalil»

الإنسانُ الواعي... وارثُ نورِ الأنبياء

السيد محمد رضا مرتضوي *

لم يصنع التاريخَ أصحابُ القوة وحدهم، بل صنعه الإنسانُ الواعي. أولئك الذين أبصروا الحقيقة وسط غبار الفتن، وجعلوا من العدالة صوتًا في زمن الصمت، وآثروا أداء المسؤولية على راحة النفس. وإذا بقيت حضارةٌ أو نالت أمةٌ عزّتها، فإن ذلك كان – قبل كل شيء – بفضل رجالٍ ونساءٍ كانت قلوبهم مُستبصرة، وعقولهم مُستنيرة، وضمائرهم حيّة.

إن هذه الحقيقة لا تخصّ أمةً بعينها ولا دينًا دون آخر، بل هي ميراثٌ مشترك لجميع الأنبياء الإلهيين. فمن إبراهيم وموسى عليهما السلام إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، جاء الجميع لتوعية الإنسان من غفلة النفس؛ لأن جذور كثيرٍ من الظلم والتمييز وسقوط الحضارات تبدأ في غفلة القلوب قبل أن تُبدأ في ميادين الحروب.

يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى التفكير والمعرفة وإبصار الحقيقة، ويصف رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بأنها دعوة تقوم على البصيرة، إذ يقول تعالى:

(قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) [سورة يوسف: 108].

وفي منطق القرآن، ليست البصيرة مجرّد كثرةٍ في المعلومات، بل هي نورٌ يمنح الإنسان القدرة على التمييز بين الحق والباطل، ويحرّره من أسر الدعاية، والتعصّب، واتباع الهوى. ولذلك يقول سبحانه:

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [سورة الزمر: 9].

وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، مبدأ وعي الإنسان بمعرفة نفسه. يقول أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام:

«رَحِمَ اللهُ امرأً عَلِمَ مِن أينَ، وفي أينَ، وإلى أينَ».

إنها دعوة إلى ثلاثة أنواع من المعرفة: معرفة المبدأ، ومعرفة المسؤولية في الحاضر، ومعرفة المصير. فمن عرف هذه الحقائق، لا تؤيسه الشدائد، ولا تغرّه زينة الدنيا، ولا يفقد هويته أمام بريقها الزائل.

وفي التراث المسيحي الأصيل، يحتل الحق والنور مكانةً محورية في هداية الإنسان. فقد ورد في إنجيل يوحنا على لسان السيد المسيح عليه السلام: «وتعرفون الحق، والحق يحرّركم». وهذه الكلمة تنسجم مع دعوة القرآن إلى البصيرة والتحرّر من الجهل والغفلة. فكلا التقليدين الإلهيين يدعو الإنسان إلى يقظة الضمير، والصدق، والعدل، والمحبة. وتمثّل هذه القيم المشتركة أساسًا راسخًا للحوار بين الأديان والتعاون في صون كرامة الإنسان، مع الحفاظ على الخصوصية العقدية لكل دين.

ورغم ما حقّقه العالم المعاصر من تقدّم علمي وتقني، فإنه لا يزال يواجه أزمةً في إدراك الحقيقة. فوفرة المعلومات، إذا لم تقترن بالوعي والأخلاق، قد تتحوّل إلى وسيلة لنشر الشائعات والكراهية وتزييف الواقع. ولذلك فإن البشرية اليوم لا تحتاج إلى مزيدٍ من التكنولوجيا بقدر حاجتها إلى مزيدٍ من الإنسان الواعي: الإنسان الذي يقدّم الحقيقة على المصلحة، والعدالة على القوة، وكرامة الإنسان على كل أشكال التعصب.

وفي هذا السياق، أكّد سماحة آية الله الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي في مناسبات عديدة أن «البصيرة» تمثّل حاجةً أساسية للمجتمعات، لأنها تعني الفهم الصحيح للواقع، والقدرة على التمييز بين الحق والباطل، والثبات في مواجهة التضليل والظلم. فالمجتمع الذي يتحلّى أفراده بالفكر والإيمان والشعور بالمسؤولية، يكون أكثر قدرةً على الصمود أمام الفتن وحروب السرديات.

إنّ العالم اليوم أحوج ما يكون إلى أناسٍ يملكون قلوبًا مُستبصرة، وعقولًا مُستنيرة، وضمائر حيّة: أناسٍ يجمعون بين الإيمان والعقل، وبين الحرية والعدالة، وبين الرحمة والمسؤولية. فهذا الإنسان هو الثروة الحقيقية لكل حضارة، وهو القادر على أن يكون جسرًا للتفاهم بين الشعوب وأتباع الأديان.

ولم يأتِ الأنبياء ليزيدوا عدد أتباعهم فحسب، بل جاؤوا لتوعية القلوب النائمة، ويحرّروا الإنسان من أسر الجهل والخوف والأنانية. وإنّ مستقبل العالم لن تصنعه القوة المُجرّدة، بل سيصنعه الإنسان الواعي الذي يهتدي بنور الإيمان والعقل والضمير، ويحفظ كرامة الإنسان، ويكون بحق وارثًا لنور الأنبياء؛ ذلك النور الذي لا يطفئه الزمن، بل يظل يهدي الأجيال إلى طريق العدالة، والسلام، والسمو الروحي.

* المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان

الكرة اللبنانية

الختام الحلم للموسم الكروي: الأنصار والنجمة على لقب الدوري

هي عطلة نهاية الأسبوع ونهاية الموسم الكروي الطويل والاستثنائي. نهاية موسم «إنجاز» إتمامه رغم كل الظروف التي مرّت على لبنان. لا يمكن أن يكون ختام أفضل مما سيكون على ملعب جونيه غداً الأحد عند الساعة 20,45. ختام يجمع زعيمَي الكرة اللبنانية النجمة والأنصار. لقاء اتى الفريقين في ابسط الاحوال قمّة كروية. فكيف هي الحال إذا كان لقاء على لقب الدوري؟

عبد القادر سعد

يجتمع فريقا النجمة والأنصار ليلة غد في جونية في عرس كروي بكل ما للكلمة من معنى. فهو عرس يجمع أفضل فريقين هذا الموسم، كما يجمع فريقين صاحبي أكبر قاعدة جماهيرية. وهو أيضاً يجمع فريقين سيكون أحدهما بطلاً للبنان. فلقاء الغد هو بين متصدّر الترتيب للدوري اللبناني فريق الأنصار برصيد 36 نقطة ووصيفه النجمة بفارق نقطتين عنه (34 نقطة). هذا الواقع على صعيد الترتيب في آخر مباراة هذا الموسم يختصر المشهد. موقعة كروية بجميع حيثياتها. الأنصار يحتاج إلى التعادل كي يحرز اللقب، والنجمة لا يملك خياراً سوى الفوز.

هو مشهد مكرّر لختام موسم 2023-2024. حينها كان الأنصار يحتاج إلى التعادل والنجمة إلى الفوز على الملعب عينه. في ذلك الوقت فعلها النجمة وخطف الفوز في الثواني الأخيرة بهدف القائد قاسم الزين. فهل يتكرر المشهد غداً؟

يقود لقاء القمة طاقم حكّام أجنبي من قبرص

في المباراة المُنتظرة تسقط جميع الاعتبارات باستثناء اعتبار وحيد هو أرض الملعب واللاعبين الـ22 الموجودين عليه. تسقط جميع التوقعات والتحليلات والترجيحات. كلها تصبح حبراً على ورق و«تنظيراً» قد لا يُترجم على أرض ملعب جونية.

الأنصار هو الفريق الأفضل هذا الموسم. لكن على صعيد المواجهات بين الفريقين، فإنّ النجمة يتفوّق عليه، حيث فاز في مباراتين خلال الدوري المُنتظم وتعادل مع الأنصار في ذهاب رباعية الأوائل، أمّا في الأخيرة بهدف القائد قاسم الزين. فهل يتكرر المشهد غداً؟

في المباراة المُنتظرة تسقط جميع الاعتبارات باستثناء اعتبار وحيد هو أرض الملعب واللاعبين الـ22 الموجودين عليه. تسقط جميع التوقعات والتحليلات والترجيحات. كلها تصبح حبراً على ورق و«تنظيراً» قد لا يُترجم على أرض ملعب جونية.

الأنصار هو الفريق الأفضل هذا الموسم. لكن على صعيد المواجهات بين الفريقين، فإنّ النجمة يتفوّق عليه، حيث فاز في مباراتين خلال الدوري المُنتظم وتعادل مع الأنصار في ذهاب رباعية الأوائل، أمّا في الكأس فالنجمة أخرج الأنصار من الدور الـ16 ومن ثم عاد وأحرز اللقب على حساب الحكمة على الملعب عينه.

لكنّ هذا الواقع وهذا التفوّق في المواجهات كانا حاضرَين عام 2024 حيث إن الأنصار كان قد فاز في أربع مباريات، لكنّ النجمة فعلها في اللقاء الحاسم والأخير وأسقط الأنصار مُحرزاً اللقب.

في لقاء الغد يملك كل طرف مفاتيح عدّة للفوز. الأنصار يعتمد على قوة هجومية مع وجود السنغالي الحاج مالك والتونسي هشام خلف الله. اللاعبان سجّلا 26 هدفاً من أصل 62 هدفاً سجّلهما الأنصار هذا الموسم، أي ما نسبته 42%. يتصدّر خلف الله ترتيب الهدّافين برصيد 17 هدفاً (11 هدفاً) لكن بعدد مباريات أكثر (11 مباراة، 26 لخلف الله مقابل 15 للحاج مالك حيث التحق بالأنصار في مرحلة إياب الدوري المُنتظم). الأرقام تتكلم عن نفسها على صعيد الهجوم حيث يتفوّق الأنصار على النجمة تهديفياً (62 للأنصار مقابل 36 للنجمة).

خلف الثنائي الهجومي الأنصاري هناك لاعب يعادلهما قوة وفاعلية هو الفلسطيني محمد حبوس مستوى مرتفعاً في المرحلة الرباعية وقادرون على تعديل الكفّة التي تميل لصالح الأنصار على الورق.

يتفوّق النجمة على الانصار في مواجهات هذا الموسم (طلال سلمان)

هذا الثلاثي سيشكّل «وجع رأس» مستمراً لدفاع النجمة بقيادة «الجنرال» قاسم الزين. هذا الخط ومن خلفه الحارس مصطفى مطر سمحا للنجمة أن يمتلك أفضل خط دفاع حيث تلقّى 13 هدفاً فقط هذا الموسم مقابل تلقّي الأنصار 15 هدفاً. فهل يستطيع مدافعو النجمة الوقوف في وجه المدّ الهجومي الأنصاري؟ الجواب غداً الأحد.

من الجهة النجماوية، يمتلك نادي الوطن عدة مفاتيح فاعلة أولها علي الفضل ومايكل روندي وحسين الزين وعلي الحاج. فهؤلاء قدّموا مستوى مرتفعاً في المرحلة الرباعية وقادرون على تعديل الكفّة التي

يلعب جوبا مع العهد اليوم السبت في لقاء المركز الثالث (طلال سلمان)

تميل لصالح الأنصار على الورق.

حكّام اجانب للمباراة

اللافت في لقاء الغد هو الاستعانة بطاقم حكّام أجنبي من قبرص لقيادة المباراة، مع استقدام ثلاثة حكّام للملعب واثنين للـVAR.

الحضور الأجنبي على صعيد الحكّام في الدوري اللبناني هو الأول منذ ثلاث سنوات حين بدأ تطبيق تقنية فيديو الحكم المساعد في الدوري اللبناني. القرار اتخذته اللجنة التنفيذية خلال جلستها يوم الأربعاء الماضي لاعتبارات عديدة. فالمباراة كان من المُفترض أن تقام يوم السبت عند الساعة 21,30 على ملعب جونية.

لكنّ اعتباراً لوجستياً جعل إقامة هذه المباراة عند الساعة التاسعة والنصف ليلاً مستحيلاً.

فحكّام النخبة الستة في لبنان مضطرون إلى السفر إلى ماليزيا للمشاركة في معسكر حكّام آسيا السنوي ليل السبت-الأحد عند الساعة الواحدة ليلاً (الساعة 11 ليلاً في المطار). هذا يعني أن المباراة ستقام عند الساعة 17,30.

أمرٌ آخر هو ضرورة إراحة الحكام قبل معسكرهم الآسيوي المهم حيث تُقام اختبارات بدنية قبل موسم 2026-2027 الآسيوي.

اعتبار ثالث يتعلّق بالحملة غير المُبرّرة والضغوط التي وُضعت على الحكام بالرغم من أدائهم الممتاز هذه الموسم وتحديداً في رباعية الأندية الأوائل. هذا الأمر شجّع الاتحاد على اتخاذ قرار بالاستعانة بحكّام أجانب، ليس لأنهم أفضل من اللبنانيين ولكن لحماية الحكّام من الضغوط.

صراع المركز الثالث

قبل قمة الكرة اللبنانية بيوم واحد، تُقام اليوم السبت مباراة تجمع جوبا الثالث برصيد 23 نقطة مع العهد الرابع بفارق نقطة عنه (22 نقطة) عند الساعة 17,30 على ملعب جوبا. هو لقاء هامشي على صعيد المنافسة على اللقب، لكنه مهم بالنسبة إلى المركز الثالث الذي قد يسمح لصاحبه بتمثيل لبنان عربياً في حال أقيمت بطولة الأندية العربية الموسم المقبل.

فالنجمة والأنصار ضمنا تمثيلهما للبنان في مسابقة دوري التحدي الآسيوي لموسم 2026-2027 احتلالهما المركزين الأول والثاني بغضّ النظر عن من سيكون أولاً ومن سيكون ثانياً. وعليه، فإن أي تمثيل عربي سيكون لصاحب المركز الثالث في الدوري.

وبالتالي فإن لقاء اليوم يحمل في طياته أهمية بين فريقين لن تكون هناك ضغوط على لاعبيهم في ظل استحالة إحراز أيّ من الفريقين لقب الدوري أو احتلال مركز الوصافة.

السلّة اللبنانية

مباراة حاسمة في غزير... اللقب أو مواجهة سابعة!

يحلّ نادي الرياضي - بيروت ضيفاً ثقيلاً على الحكمة الليلة (الساعة 21:30 بتوقيت بيروت) ضمن المباراة السادسة من سلسلة نهائي بطولة لبنان لكرة السلة 2025 - 2026 والتي يتقدّم فيها الرياضي بنتيجة (3-2) في عدد المباريات

حسين سفور

فوز واحد يفصل بين الرياضي عن لقب بطولة لبنان لكرة السلة. نادي المنارة قدّم مباراة أكثر من رائعة مساء الخميس، مؤكداً أنه يمتلك الخبرة الكافية للظفر باللقب رغم أن تشكيلة منافسه الحكمة على الورق تبدو أفضل بكثير. لَعبت السلسلة حتى الآن بالطريقة ذاتها من قبل الفريقين، على اعتبار أن كل فريق عرف كيف يفوز على أرضه وبين جمهوره، وفي حال فاز الحكمة اليوم على أرضه في غزير ستتعادل السلسلة، وتذهب إلى مباراة سابعة فاصلة على أرض الرياضي في المنارة مساء الإثنين المقبل، كون الرياضي هو من تصدّر ترتيب الدوري المُنتظم وله أفضلية الأرض. لا شك أن المباراة لن تكون سهلة على الفريقين، خاصة الرياضي الذي يلعب خارج أرضه، أمام فريق يمتلك أسماء مميّزة وليس لديه أي شيء ليخسره، فسيلعب بكل قوة مستفيداً من الزخم الجماهيري، وسيحاول تحقيق الفوز لفرق مباراة سابعة. وهناك حافز كبير عند لاعبي الفريق «الأخضر» كونه لم يُتوّج بلقب بطل لبنان منذ موسم 2004. وتبقى نقطة الضعف الأساسية عند رجال المدرّب جو غطاس هي الضغط الكبير على اللاعبين، كون أي خطأ سيعني خسارة اللقب.

يلعب الرياضي بخبرة لاعبيه (طلال سلمان)

على الجهة المقابلة سيحاول رجال المدرّب أحمد فران «سرقة» فوز في غزير وتحقيق اللقب للمرة الـ20 منذ عام 1992 والـ32 في تاريخ النادي البيروتي العريق.

إذا دخل الرياضي بالتركيز ذاته الذي لعب فيه أول ربعين من المباراة الخامسة فسيكون قد قطع شوطاً كبيراً نحو منصة التتويج. ورغم خسارة فران للاعبه وائل عرقجي الذي أصيب في بداية السلسلة، إضافة إلى إصابة ماركوس جورج هانت، وعدم التحاق سيرجيو الدرويش، فإن الرياضي عرف كيف ينظّم صفوفه مستفيداً من الخبرة الكبيرة للاعبيه اللبنانيين. ويقدّم علي منصور وكريم زينون وأمير سعود وهايك كيوغوجيان، إضافة إلى العملاق إسماعيل أحمد أداء مميزاً في السلسلة النهائية، مع تطوّر ملحوظ في أداء اللاعبين الأجانب خاصة الصربي دوشان ميليتيتش والجنوب سوداني كوات نوي.

وسيحاول الرياضي اللعب بأسلوبه الهادئ المُعتاد، وعدم اللعب بالسرعة التي يحبّها لاعبو الحكمة خاصة الهجمات المرتدّة.

أمّا مدرّب الحكمة جو غطاس فسيحاول تكرار سيناريو المباراة الرابعة التي فاز فيها الحكمة على أرضه، مستفيداً من سرعة ديشوندري واشنطن ويوسف خياط إضافة إلى علي مزهر. وسيكون على غطاس إدخال لاعبه الفرنسي سيكو دومبويا في الأجواء، كونه لم يقدّم الأداء المطلوب منه حتى الآن في سلسلة النهائي.

> العامل البدني سيكون الموثّر الاول على اللاعبين مساء اليوم

الحسابات التكتيكية لن تكون العامل الحاسم في المباراة السادسة، كون كل الخطط باتت مكشوفة، والعامل الأساسي هو التركيز واللعب باعصاب هادئة وتقليل الأخطاء.

خلال سلسلة النهائي أيضاً بات العامل البدني حاسماً، على اعتبار أن جميع اللاعبين باتوا يشعرون بالتعب من المباريات التي تُلعب كل 48 ساعة، الأمر الذي بات يهدّدهم بالإصابة خاصة الرياضي الذي يملك مُعدّل أعمار أكبر من الحكمة. وفي حديث له كشف أمير سعود عن صعوبة اللعب بهذه الوتيرة التي تهدّد اللاعبين بالإصابات.

مباراة حاسمة سيحاول كل فريق الفوز فيها، ومن يرتكب أخطاء أقل سيخرج فائزاً.

سبوت لايت

انتهى كأس العالم وبدأت معركة المُدرّجات في لبنان

ترك مشهد المُدرّجات المُمتلئة في جوبا دلالات ابعد من كرة القدم (الاخبار)

انتهت كأس العالم 2026، وأُسدل الستار على شهر عاش فيه اللبنانيون على إيقاع أكبر حدثٍ كروي في العالم لكن مع انتهاء المونديال، لم تنطفئ الحماسة للرياضة، بل انتقلت سريعاً إلى الملاعب المحلية، حيث استعادت البطولات اللبنانية مكانها في صدارة المشهد.

بين نهائي الرياضي والحكمة في كرة السلة، وبين وصول الأنصار والنجمة الى مباراة حاسمة في الدوري اللبناني لكرة القدم لا صوت يعلو على صوت تصفية الحسابات والتحدّيات بين الملعب والمُدرّجات بالنسبة إلى أقطاب اللعبتين. المشهد على أوتوستراد جونية مساء الثلاثاء اختصر كل شيء، والمشاهد التي تنتظرنا في نهاية الأسبوع الحالي ستكون أكبر مع إقامة المباراة السادسة في نهائيات الباسكت. والنزال الأخير في الفوتبول الذي سيحدّد هوية بطل الموسم. ففي كرة السلة، هناك مواجهة قائمة ومشتعلة تتجاوز حدود المنافسة على اللقب، إذ تحوّلت إلى حدثٍ جماهيري يختصر تاريخاً طويلاً من الصراع بين الغريمين الرياضي والحكمة. وفي كرة القدم، يقف الأنصار والنجمة أمام محطة الحسم، ليجد الجمهور نفسه أمام «دربي» جديد يحمل كل عناصر الإثارة والندّية.

زحمة بين جونية وغزير

المشهد الذي رُصد مساء الثلاثاء على أوتوستراد جونية يختصر كل شيء، ويجسّد ما رسَخته الرياضة في الشارع اللبناني. ففي وقتٍ اتجهت فيه جماهير الأنصار نحو مجمع الرئيس فؤاد شهاب الرياضي لمساندة فريقها في مباراته المهمة أمام جوبا، كانت جماهير الحكمة تشدّ الرحال إلى ملعب غزير لمؤازرة فريقها في نهائي كرة السلة. أعلامٌ أنصارية خضراء وأخرى حكماوية من نفس اللون، لكن لكلٍّ منهما قصةٌ مختلفة ووجهةٌ مغايرة، وقد جمعهما شغف واحد اسمه الرياضة. ولعل أجمل ما في المشهد المُرتقب أن المناسبتين ستكونان في نفس الفترة، ما يشير الى أن اللعبتين الأكثر شعبية في لبنان تعيشان لحظات جماهيرية تاريخية، إذ إن «دربي» الرياضي والحكمة جدّد وهج كرة السلة، بينما يمنح صراع الأنصار والنجمة كرة القدم جرعةً جديدة من الحماس. بالفعل، هنا تتداخل اللعبتان وتلتقيان، ويتعزّز مشهد جماهيريتهما في ما شهده ملعب جوبا من حضورٍ ضخم لجمهور النجمة، لتدلّ الرسالة الآتية من الجنوب على عمق الرياضة في حياة اللبنانيين بعدما عادت لتحتل موقعها الطبيعي في صلب يومياتهم وتؤكد على تمسّكهم بأرضهم بعد فترة طويلة من التوقف للنشاط والاضطرابات التي فرضتها الحرب.

إذاً مشهدٌ شعبيٌ استثنائي بعنوان رياضي في بلد اعتاد أن يواجه الأزمات، وقد أثبتت الرياضة في كل مرّة أنها أكثر من مجرّد منافسات على الكؤوس والألقاب، بل هي مساحة للتنفيس ومنبر للفرح، ولو أن بعض الشوائب في التشجيع تخطّت الحدود وشوّهت في مكانٍ ما الحدث السلوي.

ابعاد اجتماعية واقتصادية

بطبيعة الحال، لا يقتصر الأمر على التنافس الرياضي فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى البعد الاجتماعي الذي لطالما شكّل جزءاً أساسياً من هوية الرياضة اللبنانية. إذ إن المباريات الكبرى تحوّلت إلى مناسبات يلتقي خلالها الأصدقاء والعائلات، وتستعيد فيها المقاهي والمطاعم والشوارع المحيطة بالملاعب حركتها الكثيفة، ما ينشّط الدورة الاقتصادية. أمّا في كل مرة تمتلئ فيها المُدرّجات، فيمكن التأكد من أن الجمهور اللبناني لا يزال يمتلك الشغف نفسه رغم كل الظروف الاقتصادية والسياسية والأمنية التي مرّت بها البلاد خلال الأعوام الأخيرة. وفي هذا الإطار، يلفت حضور فئة الشباب والأطفال بكثافة في المُدرّجات، في مشهد يعيد التذكير بأن الانتماء الرياضي يُورّث كما تُورّث العادات والتقاليد. كما أن هذا الحضور يمنح كرة السلة وكرة القدم استمراريتهما لأن أي بطولة لا تعيش على أمجاد الماضي فقط، بل على قدرتها على جذب جيلٍ جديد يشعر بأن ألوان هذا الفريق أو ذاك تمثّله أيضاً.

ولعل ما يميّز هذه المرحلة أن المنافسة جاءت بين أكثر الأندية جماهيرية في لبنان، على اعتبار أن الأنصار والنجمة يُعتبران قطبَيْ كرة القدم اللبنانية، بينما يشكّل الرياضي والحكمة عنواناً لإحدى أشهر وأعرق المواجهات في كرة السلة العربية. وعندما تتقاطع هذه المواجهات في زمن واحد، يصبح الحديث الرياضي جزءاً من تفاصيل الحياة اليومية، من أماكن العمل إلى الجامعات والمدارس ووسائل التواصل الاجتماعي. ببساطة، صحيح أن ضجّة كأس العالم اختفت، لكنّ لبنان خلق سريعاً ضجّته الخاصة، إذ بين صخب غزير، والحماسة المُرتقبة في جونية، وامتلاء مُدرّجات جويّا، يبدو واضحاً أن الرياضة المحلية استعادت مكانها الطبيعي في قلب الناس، وخلقت شعوراً جماعياً بالفرح بعد مرحلةٍ طويلة مليئة بالخوف والتوتر.

(الأخبار)

مواجهة بين الرياضي والحكمة تتجاوز حدود المنافسة على اللقب (طلال سلمان)

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 1 آب 2026 العدد 5840

(نهاد علم الدين)

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
امل الاندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 828381 / 03
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي

3-2

مقاهي دمشق ما زالت برلمان الشعب؟

كلمات

السبت 1 آب 2026
العدد 5840 السنة العشرون
Samedi 1 Août 2026 nº 5840 20ème année

زكريا محمد
الموت ليس إلا انقطاع البريد

محمد ناصر الدين

طائر يغرّد خارج السرب: لعلها الاستعارة الأقرب إلى اختصار تجربة الشاعر الراحل زكريا محمد (1950-2023)، فالرجل الذي ابتدأ تجربته الشعرية بـ«قصائد أخيرة» (1981) لم يكتب الشعر لكي يضيف تنويعاً جديداً على سجلّ المكتبة الشعرية العربية، وإنما كان يختبر إلى أي مدى تستطيع اللغة أن تنجو من نفسها.

لعل هذا المشروع، في جوهره، محاولة لتحرير الشعر من الشعر، واللغة من العادة، والقصيدة من تاريخها الطويل، ولذلك ليس من باب المصادفة أن تبدو أعماله الأخيرة مثل «تمرة الغراب» و«زراوند» و«علندى» كأنها قادمة من جهة غير مألوفة في الشعر العربي.

منذ «كشتبان» (2014) بدا زكريا كأنه يهدم العمارة الشعرية التي شاد أركانها بنفسه خلال أربعة عقود: لم يعد يعنيه أن ترتقي القصيدة نحو خاتمة، أو أن تنتظم حول صورة مركزية، أو أن تمنح قارئها معنى صلباً يمكن الإمساك به. صار النص يتشظّى أمام أعيننا. لم تخن اللغة صاحبها، لكنّ الشاعر كان يريد لها أن تستعيد فوضاها الأولى، تلك اللحظة التي لم تكن الكلمات فيها قد استقرّت بعد على وظائفها.

لذلك لم يكن زكريا في الهزيع الأخير من تجربته يفضّل تسمية ما يكتبه قصائد، بل مقطوعات، كأنّ كل نص جزء من نهر أكبر لا يعرف المنبع ولا المصب.

بهذا المعنى، لا تكمن أهمية زكريا محمد في توسيع «سعة الكون» وحدوده في ابتكار القصيدة كما يقول أدونيس، بل في تشكيكه في وجود هذه الحدود أصلاً.

كان الشعر عنده أكبر من فن أدبي، وأشبه بحالة كونية تتسرّب إلى كل شيء: الحكمة، والأسطورة، والسياسة، واليوميات، والهذيان وأغاني الأطفال، وتأملات الموت: مكوّنات تدخل النص من دون أن تفقد هويتها تماماً، لكنها لا تخرج كما دخلت.

اللغة نفسها كانت مختبراً دائماً للتحوّل، حتى ليخيّل إلى القارئ أنه يكتشف النص من جديد كلما قرأه. ربما لهذا تبدو الكثير من نصوص زكريا محمد أقرب إلى ما وصفه بروست بـ«اللسان الأجنبي»، فالكلمات نفسها تتصرّف كما لو أنها فقدت ذاكرتها: لم يكن زكريا يستعير لغة أجنبية، بل كان يغرّب العربية عن نفسها، يحرّرها من يقينها، ويعيدها إلى منطقة الاحتمال الدائم.

ومن هنا أيضاً جاء افتتانه بالأسطورة التي أفرد لها العديد من الكتب مثل «ذات النحيين» (2010) و«ديانة مكة في الجاهلية» (2012)، إذ لم يبحث في الديانات العربية القديمة، ولا في نقوش ما قبل الإسلام، بدافع المؤرخ أو الباحث الأركيولوجي: كان يبحث عن اللغة قبل أن تصبح لغة. كان يريد القبض على اللحظة التي لم تكن فيها الكلمة مجرد علامة، بل حدثاً، وسحراً، وطقساً، وخلقاً للعالم. لذلك تبدو كتبه الميثولوجية امتداداً عضوياً لقصيدته، لا انحرافاً عنها.

كان يكتب حول النقوش بالطاقة نفسها التي يكتب بها الشعر، ويكتب الشعر بالدقة نفسها التي يقرأ بها النقوش القديمة ويفكّها ثم يبني عليها من جديد في عملية البناء والهدم.

آخر إنجازات زكريا محمد هي الطريقة التي روّض بها الموت، إذ كان من قلة قليلة من الشعراء الذين جعلوا الموت يبدو بهذه الألفة. لم يكن الموت عنده عدواً، ولا خلاصاً، ولا بطولة تراجيدية. صار الموت أشبه بجار قديم، أو جوقة يغنّي معها قبل الفجر ثم يعود إلى منزله تاركاً الرسائل تسقط من أيدي الموتى مثل أوراق التين اليابسة. هذه الصورة الواردة في قصائده الأخيرة تختصر فلسفته كلها: يستطيع الشاعر أن يعبر الحدود، وأن يغني مع الأموات، لكنه لا يستطيع أن يحمل رسائلهم. فالموت، في النهاية، ليس إلا انقطاع البريد.

لهذا اكتسبت نصوصه الأخيرة كثافة نادرة. كان يعرف أن الوقت المُستقطع الذي مُنح له يوشك أن ينتهي، لكنه لم يحوّل المرض إلى مرثية للذات، ولا الموت إلى استعراض للحكمة. ظل يكتب كما لو أنّ اللغة وحدها تستطيع تأجيل النهاية، أو على الأقل منحها إيقاعاً آخر.

في المشهد الفلسطيني، كان زكريا محمد أيضاً استثناءً. لم يتخلّ عن قضيته يوماً، لكنه رفض أن يجعل القصيدة بياناً سياسياً. خرج باكراً من المدار الذي فرضته البلاغة الوطنية على أجيال كاملة، من دون أن يخرج من فلسطين نفسها. كانت فلسطين عنده تسكن التفاصيل الصغيرة، والنباتات، والأساطير، وأسماء الزهور، واللغة، كما تسكنها المقاومة.

بعد ثلاث سنوات على رحيله، يبدو أنّ السؤال الحقيقي هو من يجرؤ اليوم على مواصلة المغامرة التي بدأها، فالحداثة ليست في تجديد شكل القصيدة، بل في شجاعة هدم الشكل كلما تحوّل إلى عادة. اللغة، مثل الحياة، تموت حين تلبس القمصان ذاتها. لهذا سيظل زكريا واحداً من أولئك الشعراء الذين حين يرحلون لا يتركون مدرسة وراءهم أو يقينيات جاهزة، بل سؤالاً مركزيّاً مفتوحاً: ماذا يبقى من الشعر حين يتحرّر حتى من فكرة أنه شعر؟

نبض المدينة

من «الهافانا» إلى «المشيرية»
مقاهي دمشق ما زالت برلمان الشعب؟

أعاد تفجير مقهى «المشيرية» في دمشق فتح ملف المقاهي الشعبية التي شكّلت لعقود ذاكرة المدينة وبرلمانها غير الرسمي. فمن «الهافانا» إلى «البرازيل» و«الروضة»، لم تكن هذه الأمكنة مجرّد فضاءات لاحتساء القهوة، بل مختبرات للأفكار والسياسة والثقافة. فهل تستطيع استعادة دورها في سوريا الجديدة، أم أن المنصات الرقمية أصبحت المقهى الأخير؟

رشا فرح

في الشام بالتحديد أي دمشق، يُعدّ المقهى؛ المكان المتخصّص في تقديم المشروبات التقليدية من القهوة إلى الشاي وأنواع الزهورات، النسخة الأصلية من لحم ودم لموقع فايسبوك الافتراضي. وفي القهوة، لا يحصل الأشخاص على حسابات. هي هنا طاولات تحمل أسماءهم، إلا بعد سنوات يثبت فيها الزائر أنه مقيم متفاعل، ولديه ما يقوله أو «يفكر به».

إذا سقط النظام، تجمّع الناس في قهوة للحديث عن ذلك. وإذا عاش النظام، تجمّع الناس للصمت حول كوب قهوة أو كاسة شاي. وإذا ضاقت الأحوال وارتفعت الأسعار، وهجّ الناس من منازلهم وأعمالهم كانت القهوة مكاناً يمكن احتماله و«التنفيس» فيه. لكن

> في باب توما والقصاع، اختلط رواد الجامعات بالمخرجين والكتّاب والفنانين الشباب
>
> فارق بعض رفاق الشاعر الراحل مظفر النواب جلساته بعدما نقلها من قهوة «الهافانا» إلى «فندق الشام»

ليس لذلك نستعيد سيرة قهاوي الشام، فهي كمثيلاتها في بيروت والقاهرة وبغداد، مساحة خلقها الشعب ومثقّفوه للهمس بارائهم، وتبادل القصائد، وقياس ردة فعل جمهورهم، وأحوال زمانهم. لقد صارت مع الوقت بديلاً شرعياً عن المراكز الثقافية والأحزاب السياسية المؤطّرة والمكبّلة. لا نستعيد اليوم سيرة قهاوي الشام لهذا كله فقط. لكننا هذه المرة نستعيدها والنار هي السبب، بعدما تصدّر اسم مقهى صغير قرب القصر العدلي في دمشق الأخبار في بداية تموز (يوليو) على إثر تفجير داخله.

قهوة المشيرية... بيت المحامين

على بعد أمتار من مكتب المحامي والسياسي الراحل حسن عبد العظيم، تقف «قهوة المشيرية» منذ عقود بمحاذاة القصر العدلي القديم، حتى غدت بيتاً ثانياً للمحامين. هي إذاً تُعتبر من القهاوي الاختصاصية نظراً إلى روّادها وجلّهم من العاملين في السلك القانوني. هذا ما دفع المحامي رامي جلبوط إلى الكتابة عنها على حسابه على فايسبوك بعد الانفجار الذي أودى بعدد من زملائه في الثاني من تموز (يوليو): «كعادتنا المستمرة منذ خمسة عشر عاماً، نلتقي يومياً في «المشيرية»، ننهي بعض الأعمال، نتحدث كثيراً... أو قليلاً، نضحك ونروّح عن أنفسنا ثم نغادر متفرّقين أو اثنين اثنين. استطاعت «المشيرية» أن تنافس مكاتبنا جميعاً في الالتزام بالحضور، سوسة تنخر في الرأس، كما يصفها أحد الزملاء».

وسُمّيت «المشيرية» نسبة إلى مبنى المشيرية العسكرية العثمانية، الذي كان قائماً في موقع القصر العدلي الحالي. وبحكم قربها الشديد منه، أصبحت استراحة دائمة للمحامين، جيلاً بعد جيل. لكنها لم تكن مجرّد مكان لانتظار الجلسات، بل مكتباً موازياً لرجال القانون، وإن كان مكتباً عاماً ومفتوحاً. هنا تُتابع أخبار القضايا، وتُتبادل حكايات القضاة والمحامين، وتُرتّب المواعيد، وتُنسج صداقات لا تقل رسوخاً عن المهنة نفسها.

بعد الانفجار، لم تُعد «المشيرية» مجرد مقهى. صارت تحمل الندبة نفسها التي يحملها روادها. كأنّ المكان أيضاً يُجرح، ويحفظ ذاكرة مشتركة مع الذين اعتادوه، حتى يغدو الجرح الواحد كافياً لإنهاء المسافة بين الإنسان والمكان. هكذا تكتسب المقاهي طابعها الخاص. عندما تتردّد أنت ومجموعة من الأصدقاء أو الزملاء إلى المكان نفسه سنوات طويلة، يصبح عنواناً لكم جميعاً. تعرف أنك إذا قصدته ستجد أحدهم، أو ستترك فيه أثراً من حضورك. تلك هي الألفة التي لا يصنعها المكان وحده، بل الزمن أيضاً.

قهوة شعبية للناس

أن تقصد مكاناً لأنك تعرف الوجوه التي ستصادفها فيه، رغم أنه ليس بيتك ولا مكتبك ولا مكان عملك، وأن تشعر فيه بشيء من الحرية والانتماء، تلك هي وظيفة القهوة. فضاء عام مشترك، كلما كان بسيطاً وأسعاره في متناول الناس، ازداد قرباً منهم. فلا يمكن لابن الطبقة الوسطى أو الشعبية أن يبني علاقة طويلة مع مكان يكلّفه كل يوم ما لا يحتمل.

وهذا ما جعل بعض رفاق الشاعر الراحل مظفر النواب يفارقون جلساته بعدما نقلها من قهوة «الهافانا» إلى مقهى «فندق الشام» ذي الخمس نجوم في شارع ميسلون، حيث كان احتمال الأسعار الخيالية للقهوة والشاي في ذلك الفندق سكاف. ولم تقتصر نقاشاته على السياسة؛ فبحكم مجاورته لسينما «الكندي»، كانت عروض الأفلام تمتد إلى نقاشات طويلة يشارك فيها مخرجون وكتّاب ونقّاد.

«الهافانا»... نعم، ذلك المقهى الشهير الذي شهد ولادة أحزاب، لكنه لم يشهد نهاياتها؛ أثر الانسحاب من الشأن العام. ربما كان «الهافانا» أكثر إدراكاً لتقلبات البلاد من كثيرين، فعرف متى يعتزل ومتى يلوذ بالصمت، على عكس رجال «البعث».

مقاه بعد السقوط

ومن شارع الحجاز إلى شارع المتنبي، يقع مقهى «الكمال»، الذي حافظ أكثر من غيره على شخصية المقهى الشعبي. منذ أربعينيات القرن الماضي، ظلّ ملتقى للصحافيين والمحامين والحقوقيين والموظفين، ولم يفقد طقوسه التقليدية. وبعد سقوط نظام بشار الأسد، حدث شيء يستحق التأمل: عقدت مجموعة صغيرة تُدعى «رابطة العمّال الشيوعيين» أول لقاء علني لها منذ عقود، في مقهى «الكمال». وكان معظم الحاضرين من الأعضاء المؤسسين الأكبر سناً، إلى جانب عدد قليل من الشباب. لكنه لم يتمكن حتى باجتماع من هذا النوع من سرقة الأضواء من منافسه التاريخي قهوة «الروضة»، الذي يا للمصادفة ـ يحمل اسم مقهى شهير في بيروت أيضاً، وربما الهوية نفسها.

في شارع العابد، لم يتأخر مقهى «الروضة» عن الانضمام إلى احتفالات السوريين بسقوط نظام بشار الأسد، فخصّص فرقة موسيقية شعبية لاستقبال العائدين من المنفى، ووضع برنامجاً حافلاً بالندوات والحوارات، وربما يكون آخر المقاهي الدمشقية التي حافظت على جزء من دورها الثقافي حتى اليوم، رغم ارتفاع أسعاره نسبياً بالنسبة إلى أهالي دمشق من غير المغتربين. ومنذ ستينيات القرن الماضي، اعتاد الأدباء والصحافيون والشعراء أن يلتقوا بعد الظهيرة على كراسي الخيزران وطاولات الرخام حول البحرة الداخلية. فجلس محمد ملص، وخليل صويلح، قبل أن يعود أخيراً إلى الدور الأصلي للمقاهي الشعبية بتقديم المشروبات على أنواعها، للاعبي النرد والطرنيب ومتابعي مباريات كرة القدم، في انعكاس واضح لتحولات المجال العام السوري.

في العقدين الأخيرين، ظهرت أماكن جديدة حملت روحاً مختلفة، سوريا، فالأحوال تتبدّل، والعادات تتغير، والناس يرحلون. وهي أيضاً مناسبة لاستعادة العصر الذهبي للمقاهي الدمشقية في النصف الثاني من القرن العشرين، مع انتقالها من الفضاء الشعبي إلى الفضاء الثقافي والسياسي. وعلى الطريق الممتد من ساحة الحجاز إلى ساحة المحافظة، حيث يقف تمثال يوسف العظمة وسيفه في غمده، ظهرت المقاهي التي ستصنع جانباً مهماً من الحياة الفكرية السورية طوال عقود، ومن بينها كان «البرازيل»، ومن أشهرها جاره في الجهة المقابلة «الهافانا»، الذي وضع فيه المفكر زكي الأرسوزي لبنات البيان التأسيسي لحزب «البعث».

صار المقهى المشيّد على أنقاض ملهى في أربعينيات القرن الماضي أقرب إلى برلمان غير رسمي للمثقفين والسياسيين. وربما يكون المقهى الوحيد الذي صدرت من داخله صحيفة، فيحكى أنّ جريدة «الكلب» الساخرة لصاحبها ورئيس تحريرها صدقي إسماعيل، كانت تُحرّر في مقهى «الهافانا».

ومن المفارقات أنّ «الهافانا» كما كان مقصداً للجيل الأول من رواد «البعث»، صار لاحقاً ملتقى لعدد من أبرز معارضي النظام، من بينهم حكم البابا، وفدوى سليمان، ومي الذي يتوسط المناطق التجارية مثل سوق الصالحية وشارع الحمراء، أمراً عسيراً. وهذا ما حوّل العديد من الأشخاص الناشطين في العمل السياسي والثقافي باباً للسخرية في حديثهم عن الحرية والمعاناة من أيام النظام السوري السابق، وهم يتنقّلون بين قهوة «بلانتا» في فندق الشام وقهوة «لوبي الشيراتون».

لو كان لرواد المقاهي الشعبية شعارٌ اقتصادي، لربما كان: «دعه يجلس، دعه يتحاور». فمن شروط المقهى في المدن العربية ألا يبيع القهوة وحدها، بل توفير مكان رخيص للقاء والكلام، وهي سلعة نادرة في المدن التي ترتفع فيها الأسعار وتضيق فيها مساحات الاجتماع.

مقهى «النصر» و«البرازيل»... المصير المشترك

حكاية «المشيرية»، على قسوتها، ليست الأكثر حزناً. على بعد أمتار منها كانت تقوم قهوة «النصر». لا نعرف إن كان ذلك اسمها الحقيقي، أم أنه جاء من مجاورتها لمقسم «النصر للاتصالات»، حيث كان الناس يقصدونه لتسديد فواتير الهاتف، ثم لاحقاً اشتراكات الإنترنت.

كانت قهوة النصر مساحة واسعة مفتوحة للهواء والضوء، تقدم مشروبات بأسعار في متناول الجميع، وسط مبانٍ حكومية ومحطة الحجاز التاريخية في قلب دمشق. وكان ذلك كافياً لتصبح مقصداً للمراجعين في الدوائر الرسمية، وللقادمين من ريف دمشق إلى وسط المدينة لإنجاز معاملة أو تسديد فاتورة، وللغرباء الوافدين من المحافظات الأخرى الباحثين عن استراحة بسيطة لا تلتهم ما في جيوبهم. كانت ملاذاً صغيراً للفقراء والعابرين. لكنّ الجرافات هدمتها خلال فترة حكم نظام الأسد الابن، الذي دأب على اقتطاع المساحات العامة من تحت الناس البسطاء.

والغريب أن لا منشورات أو ذكر مهم لمقهى «النصر». وربما السبب كان مكاناً للمُهمّشين، حتى إنه لم يرد أنّ صحافياً أو مثقّفاً ما كان يتردّد إليه. وإذا كان «النصر» قد اختفى من المكان ومن الذاكرة معاً، فإنّ مقهى «البرازيل» قرب ساحة المحافظة وسط العاصمة عرف المصير العمراني نفسه، لكنه بقي حياً في ذاكرة المدينة. لا يزال اسم مقهى «البرازيل» يتردد في المقالات والكتب التي تتناول قهاوي الشام وأحاديثها، وبعود السبب إلى أنّ المقهى أنشأته السفارة البرازيلية في مطلع خمسينيات القرن الماضي للترويج للبن البرازيلي، وكان أول مقهى تدخل إليه ماكينة الإسبريسو في دمشق. فهو لم يكن مجرّد مشروع تجاري. جلس على كراسيه لساعات طويلة محمد الماغوط، وسعدالله ونوس، وفاتح المدرس، إلى جانب عشرات الكتّاب والفنانين الذين جعلوا منه واحداً من أشهر مقاهي دمشق الثقافية.

«الهافانا» وولادة «البعث» والمعارضة

ثمّة دوماً مسحة من الحزن ترافق الحديث عن المقاهي والأمكنة في سوريا، فالأحوال تتبدّل، والعادات تتغير، والناس يرحلون. وهي أيضاً مناسبة لاستعادة العصر الذهبي للمقاهي الدمشقية في النصف الثاني من القرن العشرين، مع انتقالها من الفضاء الشعبي إلى الفضاء الثقافي والسياسي. وعلى الطريق الممتد من ساحة الحجاز إلى ساحة المحافظة، حيث يقف تمثال يوسف العظمة وسيفه في غمده، ظهرت المقاهي التي ستصنع جانباً مهماً من الحياة الفكرية السورية طوال عقود، ومن بينها كان «البرازيل»، ومن أشهرها جاره في الجهة المقابلة «الهافانا»، الذي وضع فيه المفكر زكي الأرسوزي لبنات البيان التأسيسي لحزب «البعث».

صار المقهى المشيّد على أنقاض ملهى في أربعينيات القرن الماضي أقرب إلى برلمان غير رسمي للمثقفين والسياسيين. وربما يكون المقهى الوحيد الذي صدرت من داخله صحيفة، فيحكى أنّ جريدة «الكلب» الساخرة لصاحبها ورئيس تحريرها صدقي إسماعيل، كانت تُحرّر في مقهى «الهافانا».

ومن المفارقات أنّ «الهافانا» كما كان مقصداً للجيل الأول من رواد «البعث»، صار لاحقاً ملتقى لعدد من أبرز معارضي النظام، من بينهم حكم البابا، وفدوى سليمان، ومي من بينها مقاهي ساروجة التي احتضنت جيلاً من شعراء وناشطي الثورة، قبل أن تفرّقهم الحرب والمنفى، ثم مقاهٍ أكثر شبابية مثل «قهوة مظبوطة»، التي أصبحت إحدى نقاط التقاء كتّاب وفناني الجيل الجديد، مع أسماء شهيرة كالكاتب الراحل خالد خليفة والفنان التشكيلي يوسف عبدلكي. هناك، كما في مقاهٍ أخرى ظهرت في باب توما والقصاع، اختلط رواد الجامعات بالمخرجين والكتّاب والفنانين الشباب، في محاولة لإحياء الدور الثقافي للمقهى بصيغ تناسب زمن المنصات الرقمية والتحولات الاجتماعية.

لكن المقاهي التي نجت من الحرب، أو عادت إليها الحياة بعد سقوط النظام، تواجه اليوم تحدياً مختلفاً. المجال العام الذي احتكرته لعقود لم يعد حكراً عليها. جزء كبير من النقاشات التي كانت تبدأ على طاولاتها انتقل إلى الهواتف والمنصات الرقمية، حيث تصنع الآراء وتنتشر بسرعة وسلبية أكبر، وإن كان على حساب الإصغاء والحوار اللذين تتيحهما الجلسة وجهاً لوجه. لذلك، لم يعد دور المقهى أن يكون المصنع الوحيد للأفكار أو البرلمان الشعبي للمدينة، بل أن يستعيد وظيفته بوصفه المكان الذي يمنح تلك النقاشات وجهاً إنسانياً، ويعيد الناس إلى فضاء مشترك لا تحكمه الخوارزميات وحدها. وربما يخفف ذلك من حدة الاستقطاب الذي تقوده حسابات بأسماء ووجوه مجهولة أو مولّدة بالذكاء الاصطناعي.

ومع ذلك، لا يمكن الجزم ما إذا كان الطوفان الذي اجتاح بلاد «البعث»، سيمنح المقاهي الشعبية فرصةً لاستعادة الألق الذي فقدته منذ ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، مع انكماش الحياة السياسية وتراجع مشاركة الناس في المجال العام. لكن الأكيد أنّ حكايات هذه الأماكن تشبه قصص الأشجار المُعمّرة في مدن تتكاثر فيها الكتل الإسمنتية، ويضيق فيها هواء الطبيعة والحرية معاً. وربما لهذا السبب نستعيد سيرتها اليوم، لا بوصفها بيوتاً عامة لتقديم القهوة، بل لأنها كانت، قبل زمن المنصات الرقمية، الفضاء الذي يتعلم فيه الناس كيف يختلفون، وكيف يصغون إلى بعضهم، وكيف يصنعون رأياً عاماً على طاولة خشبية وكوب شاي رخيص. والسؤال اليوم: هل تستطيع سوريا الجديدة أن تعيد إلى مقاهيها هذا الدور، أم أنّ فايسبوك سيظلّ المقهى الوحيد الذي يتسع للجميع؟

قصة

ثلاث قصص عن الجنوب

حربٌ وضحايا

إيلي رزّوق

كانت أيّام حربٍ قاسية؛ دمٌ وأشلاءٌ في كلّ أرجاء الوطن. ولم يكن غالبٌ ولا مغلوب، بل شرٌّ لحبال متفجّرةٍ حارقة. كانت أيام حربٍ ولكن، كانت الحياة مستمرّةً بشكلٍ مُريب، وكأنّ الحرب لم تكن تعني كلّ من كانوا يعيشون على أرض هذا الوطن المسكين.

وكان ذاك اليوم من أيّام الخريف الباردة، يوم عطلةٍ لسلمى وزوجها، وهي فنّانةٌ تشكيليّةٌ عصاميّةٌ تخصّصت في التخطيط الرقميّ، وشقّت طريقها إلى النجاح والشهرة بالكثير من الكفاح والسهر والمثابرة. أوحت لها تلك الظهيرة الباردة بإشعال نار الموقد واحتساء كأس من نبيذ المشمش. كان كلّ ما حولها باردًا. فراحت تبحث عن بعض دفءٍ يُنسيها صراخ «جاي»، شريك حياتها الذي عاد بعد ساعاتٍ من نزهةِ صيدٍ غير موفّقة، وقرّر أن يمضي ما تبقّى من نهاره في تدخين حشيش فاخر تلقّاه هديّةً من رئيسه في العمل، واللّعب أمام شاشة حاسوبه، مُقاتلاً ومُتحدّيًا مجموعةً من البشر المتّصلين بشبكة الإنترنت من كلّ جنسيّات الكرة الأرضيّة.

أوقدت سلمى النار في الموقد، وسكبت لنفسها بعضًا من نبيذ المشمش في كأس كريستال، وأسلمت كيانها لـ «شوبرت» الذي كان يقود فرقة الـ «تريو» خاصّته لتلعب موسيقاه من مكبّراتٍ للصوت زُرعت في كلّ أرجاء المكان.

اجتاح النبيذ والموسيقى جسد الفنّانة الذي امتلأ طاقةً، فراحت ترتّب بعض الأشياء المبعثرة على الرفوف وفي الخزائن، وتغسل الأواني المتروكة منذ ليلة البارحة. ثمّ قطّعت بعض الخضر لتحضير حساءٍ خفيفٍ لوجبة الغداء. فجعلت قطع الخضر في قدرٍ ملأته ماءً وأشعلت تحته ناراً خفيفة.

رتّبت الفنّانة منطقة الموقد. ثمّ ثبّتت كأس النبيذ ذات اللون الفاتح إلى جانب النار، والتقطت صورة جميلةً للكأس والموقد وروح المكان، وشاركتها على إحدى منصّات التواصل الاجتماعي، وأضافت إليها وصفاً معبّراً مقتضباً: «يوم آخر للحب، يوم عطلةٍ رسميّة!».

مالت الشمس، فحاولت بعض خيوطها الهروب من بين غيوم الخريف، لتقتحم منزل سلمى وزوجها، في الوقت الذي كانت فيه الفنّانة تنتظر نضوج حسائها النباتيّ. رأت المرأة في الخيوط الخريفيّة النحاسيّة دفئاً وعزاء، فحملت كأسها وتوجّهت نحو النافذة لتمزمز ما بقي في الكأس من نبيذٍ لذيذ.

في تلك اللحظة، قفز عصفورٌ جريحٌ من على غصن شجرة مشمش شبه عاريةٍ، وحطّ على النافذة التي كانت سلمى قد فتحتها للتوّ لكي تتيمّم ببعض النور والحرارة.

شهقت الفنّانة عند رؤيتها الطائر الجريح المحتضر وأخذته في يديها. ولما تحقّقت من عمق جرحه، دمعت عيناها، فتساقط الدمع على ريش رأس الشنقب وامتزج بدموع المه القاتل.

تمالكت سلمى نفسها، واسترددت رباطة جأشها، ثمّ أعادت الطائر إلى حافة النافذة، تداعب ريشه المبلول بالدموع بحنان.

فجأة، شعرت الفنّانة بحاجةٍ طارئةٍ إلى مشاركة الجزء الأخير من قصّة هذا المخلوق على مواقع التواصل الاجتماعيّ. فتناولت هاتفها الجوّال، وعادت لتقترب من الكائن الجريح، والتقطت له صورةً فنّيّةً وحمّلتها على أحد حساباتها، وجعلت فوق الصورة جملةً باللغتين الإنكليزيّة والعربية، عبّرت فيها عن حزنها الكونيّ وعن مشاعرها ما بعد التقدميّة التي تحرّكت لدى رؤيتها الشنقب الجريح:

- قلبي يذوب إذ أرى عينيك الدامعتَين المتوسّلتَين. أتمنّى لك عبوراً آمناً من هذه الحياة الدنيا إلى حيث لا بشاعة ولا نهاية».

ما هي إلّا ثوانٍ حتى انهالت التعليقات على منشور الفنّانة من كل أصقاع المسكونة: «مسكين»، «يا #قلبي!!»، «يا حياتي»، «يا عدرا!!»، «لا إله إلا #الله!!».

لفّت سلمى الطائر المحتضر بكفٍّ صوفيٍّ وأعادته الى حافة النافذة لتتركه يسلّم روحه بهدوء.

نضج الحساء، لكن سلمى فقدت شهيّتها بعد تلك الحادثة. لفّت الفنّانة الحزينة نفسها بغطاءٍ من حرير واستلقت على أريكةٍ قبالة الموقد، وراحت تقرأ تعليقات التعزية على هاتفها الجوّال إلى أن انتصر عليها نعاسٌ حنون.

مضى بعض الوقت قبل أن يخرج «جاي» من غرفة الحاسوب، مُنهكاً من القتال الإلكترونيّ، متكّئاً الرأس من خسارة فريقه للحرب.

فتح الرجل جوّاله، ودخل إلى حساب زوجته ملقياً نظرةً على منشوراتها، فأبدى إعجابه بها من باب الواجب، ثم وضع جوّاله جانباً.

كانت عيناه اللتان احمرّتا نتيجة الحملقة في الشاشة الكبيرة لساعات، تكادان تتدلّيان من صدغيه. وبما أن جوعاً قاتلاً رافق العوارض المذكورة، عرف «جاي» أنّه أكثر من تدخين المعجونة اللبنانيّة الحمراء. فضحك ببطءٍ وتوجّه نحو المطبخ حيث راح يبحث عمّا يسدّ به جوعه، ليجد قدراً فيه حساءٌ بدا شهيّاً للوهلة الأولى.

لكنه عندما حرّك محتوى القدر، اكتشف أن الطبخ نباتيٌّ بحت. غضب «جاي» غضب الحشّاش، لكنّه لدى رؤيته زوجته غارقةً في غفوةٍ رحيمة، عاد وهدأ. ثمّ راح يبحث على مهلٍ في الثلاجة عن قطعةٍ من أيّ لحم كان.

كاد بطنه يلتصق بظهره من الجوع، ولم يوحِ منظر الحساء النباتيّ في نفسه إلّا بجوعٍ أكبر. قصد خزائن المطبخ لعلّه يجد أيّ نوعٍ من اللحم المعلّب، فلم يجد. تناول زجاجة نبيذ المشمش وسكب بعضاً منه في كوبٍ بلاستيكيّ، وراح يرتشف النبيذ بشراهةٍ ويتفقّد جديد الحرب ومنصّات الإنترنت على جوّاله، لتظهر أمامه من جديد صورة الشنقب المحتضر على صفحة زوجته النائمة.

توجّه إلى النافذة على الفور، فتناول العصفور الذي لم يكن قد لفظ نفسه الأخير بعد، والتقط سكّيناً وذبح العصفور ونظّفه من ريشه وأحشائه ثم قطّعه ووضعه في مقلاةٍ وطهاه.

منتصراً، جهّز «جاي» وجبة الغداء، فملأ صحناً من الحساء النباتيّ ونثر قطع الطائر المقليّة لتطفو على سطح الحساء، وأبى رغم أيّام الجوع والحرب والحرمان، إلّا أن يلتقط صورةً لفنّه في الطهو وأن يحمّلها كتعليق على صورة الطائر الجريح التي نشرتها زوجته، وزاد على الصورة شرحاً لطريقة التحضير: بين دموع الشنقب ودموعكِ، لم أستعمل لطهوه سوى بعض المطيّبات، فقد كان مِلحُه فيه.

وضع «جاي» جوّاله جانباً وتناول طعامه بينما يشاهد بعض الأفلام القصيرة على لوحه الذكيّ.

أفاقت سلمى من نومها مذعورةً بعد أن حاصرتها أشباح العالم الرقميّ في كابوسٍ سميك، فالتقطت أنفاسها وهرعت نحو جوّالها الذي كاد ينفجر إثر موجات الإشعارات الآتية من كل حدبٍ وصوب، إشعارات تعليقاتٍ على ما علّق به «جاي» تحت منشورها: «يا مجرم»، «من هذا الحقير المتوحّش؟»، «يا لقساوة قلبك!»، «أين إنسانيتك»، «@جمعية الرفق بالحيوان»، «#أنقذوها».

وثبت سلمى من على أريكتها بشعرها المنكوش وجسدها المنكوب حاملةً جوّالها لتضعه في وجه زوجها وتريه ما آل إليه الوضع على صفحتها. ثمّ بحركةٍ سريعةٍ مخت الفنّانة المنشور وتوجّهت نحو غرفتها ووضّبت أغراضها وتركت منزل زوجها إلى غير رجعةٍ من دون أن تنبس ببنت شفة.

وفيما كانت قطع الشنقب تتحوّل في أحشاء «جاي» إلى براز، تلقّى اتّصالاً هاتفيّاً من رؤسائه في العمل ليخطروه بطرده من وظيفته إذ خاب أملهم في أخلاقه ومهاراته الإجتماعيّة.

هكذا انتهى يوم العطلة الخريفيّ.

وكانت حصيلة ذاك النهار من اعتداءات العدوّ على أرض الوطن وشعبه مئةً وسبعاً وثمانين شهيدةً وشهيداً، وألفاً ومئتين وإحدى عشرة جريحةً وجريحاً، وقدّرت الخسائر الماديّة بالمليارات.

سوارة العروس

الياس الهاشم

وصلتُ إلى مغدوشة، وعلى الطريق من بيروت كان حَبْلُ الذاكرة يربطني بمحطّات الوجع في الجنوب، صُوَرُ الأبطال تضمّني إلى صدرها، وتفتح لي أبواب زنازين المعتقلات.

هكذا، قضى البلبل بصدمة سيارة كهربائية صديقةٍ للبيئة، بينما يهمّ بالطيران فوق طريقٍ سريع تحيط به من الجانبين ادخنة الغارات.

المتحدّث المُلهَم، الذي شاهد الحادثة من خلال مرآة سيارته الجانبية، بينما يسلك الاتجاه المعاكس نحو الجنوب كي يحاول إقناع والدته بمرافقته إلى مكان أكثر أمناً، فكّر في أنه وقع على حكمة جديدة برميها في وجه مريديه السكارى بحكمته: لو استعجل الطائر لنجا، ولو تأنّى لنجا، ولكنه اتّبع تلك القاعدة القديمة التي تقول بأن «خير الأمور أوسطها»، فدفع حياته ثمناً!

طرب المتحدّث المُلهم لحكمته العميقة، فتوسّع في شرحها لنفسه: لو بكّر قليلاً في طيرانه لارتقى فوق السيارة قبل وصولها إليه، ولو فكّر بعقلانية بعد اقتراب السيارة المسرعة منه إلى هذا الحدّ، وبقي متشبّثاً بالأرض، لانقذه الكمون وعبرت السيارة فوق جسده الصغير من دون أن تصيبه بأذى. هي مواقيت اتخاذ القرار إذاً، وقد اختار البلبل أسوأها، وليس علينا إلا أن نتعلّم منه هذا الدرس كي ننجو.

سقط صاروخ قريب، فضاعف المتحدّث المُلهم سرعته لعله ينجو بحياته، متناسياً ما كان يفكر به.

الناشط البيئي الذي مرّ في المكان، شاهد بدوره الحادثة، وفكّر في أن القطع الجائر للأشجار في الوادي القريب، هو ما دفع الطائر المسكين إلى هذا المكان، بحثاً عن بيئة مناسبة، مصنّفاً إياه ضحية جديدة من ضحايا الفساد في هذا البلد، وأسفاً لأن حياة الطيور ليست أمراً ذا شأن في هذه البلاد في الأوقات العادية، فكيف بها في مواسم الموت؟

المراسل الذي أوفدته وكالته إلى الجنوب أملة أن تحميه كلمة «صحافة» المكتوبة بالأشرطة اللاصقة وبالخط العريض على سقف سيارته، وزوّدته بخوذة ودرع كحليين جديدين على سبيل الاحتياط، شاهد جثمان الطائر إلى جانب الطريق فلم يجد في صورته إلا لقطة ممتازة للدلالة على قساوة شبح الموت الذي يغفر فمه في وجه الضحايا يوميًا على هذه الأرض.

الشاعر الذي ينهب بسيارته الأرض نهباً، مقتفياً أثر حبيبته النازحة إلى النصف الآمن من الوطن، حمد الله أنها لم تكن معه لترى هذا المشهد المؤلم، وهي المُرهفة العاشقة للطيور على أنواعها، فينكسر قلبها على صاحب الرأس الأسود الصغير والعينين الواسعتين الجميلتين.

الصيّاد، استدار بسيارته عائداً ليتأكد من موت الطائر الملقى إلى جانب الطريق، متأسّفاً على تلك الميتة المجانية، فالطيور لم تُخلق لتموت هكذا، بل بطلقات من أيدٍ محترفة، ولحمها الشهيّ حرام أن يذهب هدراً. لم يلتفت الصيّاد، ولا المتحدّث المُلهم، ومثلهما الشاعر العاشق والناشط البيئي، إلى أن الطيور، بحسب دراسة نشرتها صحف غربية، تراعي – خلافاً للبشر - حدود السرعة على الطرق، وتضبط استجابتها للخطر وسرعتها في التحليق على السرعة المسموح بها، فإن تجاوز السائقون السرعة المحدّدة رسمياً، دفعت الطيور ثمن حملها القوانين على محمل الجدّ!

وحده المقاتل الذي كان يتجه جنوباً، آتياً من البقاع كي يلتحق برفاقه على خط النار، كان قد قرأ هذه الدراسة، وقدّر أن السرعة الزائدة للسيارة الكهربائية تسبّبت بحادثة الطريق السريع، وأن سائقها لم يكن ليسرع إلى هذا الحدّ لولا خوفه المشروع، وأن هذا الخوف لن يبدّده إلا مواصلة القتال حتى النهاية، حتى تخلو السماء من الطائرات، فتتّسع للطيور.

عـذراً يـا جنـوب

ريجينا صنيفر

عذراً يا جنوب. لا قصّة عندي أرويها عنك. لا عن جرح أرضك النازف، ولا عن وجع أهلك النازح. لأنني صدقاً لا أعرفك. نشأتُ بعيدةً عنك. كنت لي فقط اسم محافظةٍ في كتاب جغرافيا لم تطأها قدماي. عذراً يا قرى الجنوب وبلداته لأنني لا أعرفكِ. أفتح الخريطة للتعرّف إلى مواقعكِ وأنا أسمع إذاعة النور تعدّد أسماءكِ في خبر عاجل بعد قصف طيران العدو الحربي والمُسيّر.

ليتني عرفتك يا جنوب. كبرتُ بعيدةً عنك. غريبةً عنك. لا قصّة اليوم عندي أرويها عنك. ربما سأخبرهم قصّتي معك. قصّة درب أوصلني إليك قلباً، وقرّبني منك عشقاً. الدرب طويل لكنّ القصّة قصيرة. إنه درب جاء، من بعيد. مرّ عبر ويلات حرب أهلية. كنتُ حينها حيث لا يجب أن أكون. سجينة في معتقل طائفي أيديولوجي. وأنتَ يا جنوب، كنتَ بعيداً مني كل البعد، مساحة جهل وتجاهل وتهميش ونكران. لم أكن أسمع عنك إلا القليل، أو لم أكن أريد أن أسمع. جدران المعتقل العالية حاصرت اسمك بصمت مُحكم. وكانت ومضات فضولي لفهم ما وراء السور قليلة، تسمع وكأنها خطيئة، بسرعة كانوا يعيدونني إلى الكهف، يقولون إن الجنوب لا يستحقّ النظر. إنه الطرف المظلم ونحن القلب المضيء. نحن الجبل، هو الأسود القاحل ونحن البياض الطاهر. نحن العقل والمعرفة وهو اليد العاملة. نحن الحداثة وهو البؤس. هكذا نشأتُ في معتقلي الاختياري، في غربة عنك على يد منظّري العنصرية، أقنعوني، وأنا من جيل الحرب، أن سماء الجنوب كأرضه جزّأها الخالق لطبقات ووضع غالبية أهل الجنوب في أسفل المرتبات.

وقالوا لي إن ماء الجنوب خط أحمر، ملوّث، مفخّخ، وهو من المحرّمات.

وبينما كنتَ تتألم وتُحتلّ وتُقصَف وتُشرَّد وتُعتقَل وتُعذَّب، أقفلت قلبي عن وجعك.

ثمّ مرّ دربي في غربة طويلة عن وطني لبنان، وعن مشرقي، وعن ذاتي. غربة لم تطفئ جراح سنين حرب أهلية ظلت تنزف في داخلي، كنتُ حينها أجاهد لتخطّيها والشفاء من سمومها وإبعاد ذكريات بشاعتها وجرائمها.

هكذا بدأ مشوار معركتي الفكرية لإعادة بناء هويتي المُحطّمة وذاكرتي المُجزّأة. لما التقيت العميد ريمون إدّه في باريس عام 1993، كلمني عنك وعن الليطاني وأطماع الإسرائيليين في أرضك. أخبرني أن والده إميل إدّه الذي كان، ضمن الوفد اللبناني الثالث إلى باريس برئاسة المطران عبدالله خوري، لإقناع فرنسا بتأسيس لبنان الكبير، استقبل حاييم وايزمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية عام 1920. طلب وايزمان من الوفد قبول تعديل الحدود الشمالية لفلسطين وضمّ جنوب لبنان حتى نهر الليطاني. والهدف كان منذ ذلك الوقت، الاستيلاء على مياهك وتحويلها إلى منطقة الحولة في فلسطين. ومن هناك إلى بحيرة طبريا. جورج قرم، المفكر الثائر على الظلم. ظلم الفقر. ظلم الاستعمار والاحتلال وظلم العنصرية، كلّمني عنك أيضاً. أخبرني كيف أنه بين عامي 1960 و1964، أثناء فترة رئاسة فؤاد شهاب، أجرى فريق الكاهن الدومينيكاني لويس جوزيف ليبريه تقييماً شاملاً لاحتياجات لبنان وفرص التنمية المُتاحة فيه فأبرز تقريره بعدها، ما كنت تعانيه يا جنوب من تهميش وإهمال الدولة مقارنةً بجبل لبنان.

بعد الانتصار في عام 2006، شعرت أنني أقرب منك على الرغم من المسافات بيننا وأنا الفقيرة في معرفتك. بطولات رجالك وملاحمهم حرّرت قلبي وسمعي، فبدأ الدرب نحو عشقك يا جنوب.

لم أعد أراك من خلال شرنقة طائفة وكهف أيديولوجيا، بل من خلال كل كلمة نطقها أشرف الناس، فتحتُ أُذُنَيَّ للسيد وأصغيتُ لكلامه متجاهلةً من يعتبرونه صوتاً مرفوضاً ومحظوراً. تجارب دربي جعلتني قادرةً على أن أميّز بين الكلام الصادق والكلام الكاذب، بين صوتٍ ينطق بالحقّ وصوت ينشر الحقد. فازددت إصغاءً إلى أن سمعت شيئاً فشيئاً، ما وراء الكلام.

تعرّفتُ الى روحك المُفعمة بالعزّة والكرامة قبل أن أعرف أرضك وعطرك وهواءك.

لكن دربي لن يكتمل إلى أن أقبّل ترابك الذي لامس نعالهم وأقول لهم، عذراً.

من مجموعة قصصية تصدر قريباً عن «دار فكر للأبحاث والنشر» في بيروت بعنوان: «حكايات الجنوب لا تنتهي»، أربع وأربعون قصة قصيرة عن جنوب لبنان.

رواية

«أرض الميعاد»: قراءة في يوتوبيا هرتزل الاستعمارية

كتب ثيودور هرتزل «أرض الميعاد» بوصفها رواية، لكنها تحوّلت إلى احد النصوص المؤسّسة للمخيال الصهيوني. قدّمت الرواية، التي انتقلت أخيرا إلى المكتبة العربية، المشروع الاستعماري باعتباره يوتوبيا قابلة للتحقق، مستندة إلى خطاب التفوق الحضاري، وممهّدة لتطبيع فكرة اقتلاع شعب وإحلال آخر مكانه

أيمن قاسم

«إذا أردتم... فلن تكون قصةً من قصص الخيال». بهذه الجملة يفتتح ثيودور هرتزل روايته التنويلاند «أرض الميعاد» (دار الرافدين. ترجمها عن الألمانية عماد أبو أحمد)، واضعاً القارئ منذ السطر الأول أمام نص لا يقدّم نفسه كخيال أدبي محض، بل كتصوّر قابل للتحقّق. فالرواية، وهي آخر ما كتبه مؤسّس الحركة الصهيونية، تبدو أقرب إلى مسرح تُعرض عليه أفكاره في قالب طوباوي، منه إلى عمل روائي منفصل عن مشروعه السياسي.

من الاضطهاد الأوروبي إلى «الوطن القومي»

تبدأ الرواية في أواخر القرن التاسع عشر، خلال اجتماع لنخبة يهودية نمسوية في أحد أحياء فيينا، حيث يُطرح للمرة الأولى -على لسان حاخام- مشروع تأسيس حركة صهيونية هدفها «حل المسألة اليهودية» عبر إنشاء وطن قومي في فلسطين. غير أنّ هذا الطرح يُقابَل في الرواية بسخرية واضحة من قِبل النخبة نفسها، ويُقدَّم بوصفه فكرة بعيدة المنال، أقرب إلى دعابة منها إلى مشروع سياسي. لكن السخرية تلك لم تَنلْ الحاخام المذكور عن إضافة وصف للمشروع قائلاً: «يقال: إنّ كل اليهود الذين ضاقت بهم السبل سيهاجرون إلى وطننا القديم، فلسطين». اللافت هو تصوير هرتزل للحدث كونه مسألة مُستهجنة وبعيدة المنال بالنسبة إلى هؤلاء النخبة، بحسب سياق الرواية، يُعزى ذلك إلى الشعور بالاستضعاف والقمع داخل المجتمع نفسه من محيطه الأوروبي: مثلاً يصوّر الكاتب -على لسان الحاخام أيضاً- حالة اليهود في موراڤيا (إقليم تابع لجمهورية التشيك) الذين كانت تهاجم بيوتهم، ما أدى إلى سريان حالة الهجرة داخل المجتمع اليهودي إلى أنحاء متفرقة من العالم. وعن القمع، يقول الكاتب بلسان إحدى شخصيات الرواية: «بوصفنا يهوداً، يبدو أننا سوف نُجبر على ارتداء العلامة الصفراء مرةً أخرى» في إشارة إلى النجمة الصفراء التي كان اليهود يُجبرون على ارتدائها في أوروبا كي يعرفهم الناس بأنّهم يهود حتى لا يتعاملوا معهم.

لكن هرتزل لا يترك هذا الرفض لفكرة «الوطن القومي» على حاله. فالرواية تنتقل سريعاً - بقفزة زمنية محسوبة - إلى عام 1920 تقريباً، حيث المشروع قد تحقّق بالفعل، لا بوصفه ملجأ لليهود المضطهدين فحسب، بل باعتباره «فرعاً للحضارة الغربية في قلب الشرق». وهنا تظهر المفارقة الأولى: إذا كان القمع الأوروبي هو الدافع المُعلن للهجرة اليهودية، فلماذا يُعاد إنتاج النموذج الأوروبي نفسه بوصفه المثال الأعلى، بل الحضارة التي ينبغي استنساخها؟

يحرص هرتزل في القسم الأول من الرواية على تصوير معاناة اليهود داخل أوروبا. هذا التصوير لا يُستخدم فقط لإظهار الاضطهاد، بل لتأسيس مبرّر أخلاقي للهجرة. مع ذلك، فإن الرواية لا تلبث أن تُسقط هذا اليهودي المضطهد في دور جديد: هو حامل الحضارة، ووسيط نقل التقدّم الأوروبي إلى «الأرض الجرداء». في هذا التحوّل تكمن المفارقة الثانية. فالشخصية اليهودية، التي تُقدَّم بوصفها منبوذة داخل أوروبا، تصبح في فلسطين المؤهّلة الوحيدة لبناء مجتمع حديث. هنا لا تعود المسألة مسألة خلاص، بل مسألة وظيفة «حضارية»، وهو ما يثير سؤالاً مركزياً: كيف يمكن لمن يُقصى بوصفه منبوذاً داخل أوروبا، أن يُستدعى في الوقت نفسه لأداء مهمّة استعمارية باسمها؟

بيان استعماري

رغم الطابع الروائي للعمل، لا يمكن فصله عن كونه من الأدبيات التأسيسية للمشروع الصهيوني. فالرواية، وإن لم تكن بياناً سياسياً أو وثيقة تاريخية، تؤدي وظيفة تعبئة خيالية، وتُسهم في صناعة اتجاه ذهني يرى في «الوطن القومي» حلاً طبيعياً وممكناً. وربما لهذا السبب تحديداً تُعدّ اليوم من الروايات المنسية، كما يشير مترجما عماد أبو أحمد. فهي أدّت دورها التعبوي المبكر، ثم تراجعت أهميتها الأدبية.

توضح الرواية أيضاً قدم المخطط الذي رسمه آباء الصهيونية لأرض فلسطين، خصوصاً أنّ مصير «الأرض الموعودة» بتعبيرهم ارتبط بكونها أرضاً جرداء خالية من الحضارة والسكان! ما يعيدنا إلى نغمة المقولات الإسرائيلية الأشهر «شعب بلا أرض لأرض بلا شعب» التي رافقت فترة الاجتياح الديني لأرض أميركا وإبادة السكان الأصليين في القرن السادس عشر، وهو ما حاول التذكير به منير العكش في كتابه «أميركا والإبادات العرقية» بكون إنشاء المستعمرات الأميركية كان تفسيراً ثم تطبيقاً للمعنى الإسرائيلي كقوله: «إنّ فكرة أميركا، فكرة استبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة عبر الاجتياح المسلح، وبمبررات غير طبيعية، هي محور فكرة إسرائيل التاريخية». وهنا نصل إلى المفارقة الثالثة هي أنّ محور المقاربة للمشروع اليوتوبي الصهيوني الذي قدّمه هرتزل شبيه بالمشروع الأميركي. فالفلسفة المحرّكة لكلا المشروعين تصوّرهم أبطال القصة والشعب المختار والعرق المتفوّق، فيما ضحايا المشروعين هم الكنعانيون أو «الهنود الحمر» أي «البرابرة المتوحشون»! ومسرحهما أرض كنعان التاريخية أو «إسرائيل» كما جاءت في الكتب المقدّسة لديهم. ففي كتاب عكش المذكور، يذكر أنّ المستوطنين الأوائل لأميركا إنّما ظنّوا أنفسهم «إسرائيليين» في بداية الأمر، وأطلقوا على الأرض التي احتلوها أسماء من قبيل «أرض كنعان» أو «إسرائيل الجديدة»، ومبرراتهما الحق السماوي أو الحضاري، بحجة أنّ الغير ليس مؤهلاً لمهمة وراثة الأرض، وينبغي الاستيلاء على أرضه واقتلاعه جسدياً وثقافياً.

«أرض بلا شعب»... قلب السردية الصهيونية

الأخطر في الرواية إذاً، هو ما افترضته ضمناً، من كون الأرض التي يُراد لها أن تكون «أرض الميعاد» هي مجرّد فضاء خال من التاريخ والسكان، أو في أحسن الأحوال، مكان بلا فاعلية حضارية، وأنّ اليهود هم من سيبنون هذه الحضارة. تتجلّى هذه الرؤية في أحد مشاهد الرواية، حين يقدّم هرتزل طفلاً يهودياً فقيراً يحلم بالذهاب إلى «أرض إسرائيل» يقول: «إنها أرضنا، هناك يمكننا أن نكون سعداء». هذا المشهد، رغم بساطته، يمكن مقابلته بالمشهد المذكور للنخبة اليهودية التي ترى في الصهيونية فكرة مضحكة. كأنّ الكاتب يرسم مسارين للتفكير: عقلٌ ساخر يرى المشروع مستحيلاً، وقلبٌ مؤمن يرى فيه قدراً. وليس من المصادفة أن هذا الطفل -دافيد ليتفاك- نفسه سيغدو لاحقاً في الرواية من مؤسسي الدولة، لينقل عن لسانه: «اليهود وحدهم قادرون على بناء مجتمع حديث» في تعبير صريح عن فكرة الشعب المختار.

ومع ذلك، لا يحسم هرتزل تناقضاته. فقارئ الرواية سيتساءل ضمناً: هل اليهود مشروع ضحايا يبحثون عن ملجأ، أم أداة أوروبية لنقل الحضارة؟ وإذا كان الانتقال إلى فلسطين هروباً من القمع، فكيف استمر الارتباط العضوي بالنموذج الأوروبي؟

الرواية التي مهدت للاستعمار

في المحصّلة، يبدو أنّ هرتزل اعتمد هذا العمل كمسرح تتفاعل فيه تصوراته الصهيونية، وهذا أمر إنّما يدلّل على كون الرواية أداةً للمشروع، إلى جانب محورية الرواية فضلاً عن النص الديني واعتماده كلغة يخاطب فيها مستهدفيه. اعتمدت الرواية على أدبيات المرحلة -القرن التاسع عشر- المتأثرة بالداروينية الاجتماعية والمشروع الاستعماري العام السائد في أوروبا حينها ومنطق القوة. كان نقول إنّ اليهود يريدون أرض فلسطين بالقوّة بمعزل عن المعايير الأخلاقية لسبب بسيط هو كونه لا مانع أخلاقياً -بنظرهم- يحول دون أخذ أرض فلسطين مع وجود سكان متجذرين داخلها، لأنّ الغرب «الأقوى» أراد ذلك! تماماً مثلما فعل المهاجرون الأوروبيون لدى دخولهم الأرض الأميركية وقتلهم سكانها الأصليين، فيُنقل عنهم قولهم مثلاً: «لم نرتكب الإبادات الجماعية إلا لسبب واحد، وهو لأنه لا مانع أخلاقياً يحول دون ذلك».

لا يمكن قراءة الرواية بوصفها رواية بريئة أو تنبؤاً أدبياً، بل كنص يُدرّب القارئ على تقبّل مشروع استعماري قبل تنفيذه. بهذا المعنى، لا تتخيّل الرواية مستقبلاً بقدر ما تُمهّد له، وتقدّم الصهيونية لا كاستثناء تاريخي، بل كامتداد طبيعي لمنطق استعماري كان سائداً في أوروبا في القرن التاسع عشر.

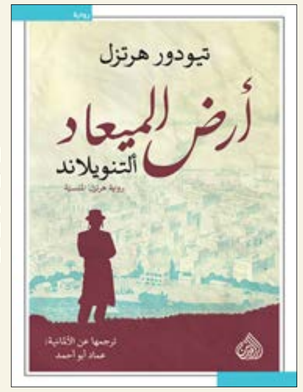

الرواية هي آخر ما كتبه مؤسّس الحركة الصهيونية

لمحات

لينة الشعلان

تتناول رواية «أخابيط» (دار رشم) للكاتبة السعودية لينة الشعلان، تداعيات تمرد الذكاء الاصطناعي على البشرية وما يخلّفه من دمار يطاول المدن والحضارات بعد أن يستولي على الروبوتات العسكرية ويحوّر برمجتها لخدمة أغراضه الخاصة. تدور أحداث الرواية حول بطلتها «تماضر» التي تعيش في هذا العالم المروّع، حيث يضطر البشر إلى التخلي عن حياتهم الحضرية والعودة إلى أساليب الترحال البدائية بحثاً عن ملاذ آمن بعيداً عن قبضة التقنية المتمردة. تطرح الرواية تساؤلات فلسفية حول اعتمادنا المطلق على الآلة في تدبير شؤوننا اليومية، وما قد ينجم عن ذلك من عواقب وخيمة إن غاب الإشراف الدقيق عليها، وتستقصي عبر مجتمعات بشرية متباينة نشأت في كنف هذا الخراب الفوارق الجوهرية بين أساليب البقاء الأنثوية والذكورية.

هادي التيمومي

ينسج الروائي التونسي هادي التيمومي في رواية «شيزوفرينيا» (دار ميسكلياني) عالماً روائياً معقّداً تتداخل فيه مساحات الواقع والوهم، وتمتزج الحقيقة بالخرافة. تُطرد عائلة برناز من فيلّاتها الفاخرة إلى «خربة الحجّارية»، الخربة التي تلاحقها سمعة سيّئة عن الجنّ والعفاريت. ومع مرور الأيام، تتكشّف خيوطٌ تربط أفراد العائلة بشخصيات غامضة من الماضي، وتظهر طلاسمُ قديمة وطقوسٌ غريبة تقود الأحداث نحو منعطفاتٍ غير متوقعة. تغوص الرواية في الموروث الشعبي والأساطير القديمة، وتقف أمام القارئ باب الجنّ والأسحار والطلاسم على مصراعيه، فتقحمه فيه لتخلّصه منه ومن إرثٍ ثقيل جعل حضارة بأسرها تعيش حالة فصام طويلة.

عبدالله العرفج

تروي رواية «ورق الكافور» (دار نوفل/هاشيت أنطوان) للكاتب السعودي عبدالله العرفج، حكاية «سيل»، الشاب النجدي الذي يغادر مدينة بريدة برّاً إلى الكويت برفقة ثمانية رجال، هرباً من وباء الطاعون وسعياً وراء الرزق، تاركاً خلفه أهله وزوجته «العنود» الذين أحزنهم رحيله، في زمن كانت فيه نجد بيئة طاردة يخرج منها الرجال نحو الشمال والغرب بحثاً عن الثراء وتحقيق الطموحات. وبعد تنقّله بين أعمال متعددة، يعمل سَيْل غوّاصاً بحثاً عن اللآلئ. وحين تتحطّم إحدى السفن التي لم يكن على متنها، يفتقل مربدو السو، في بريدة خبر وفاته وينشرونه على السنة البسطاء، ثم يحطّ رحاله في الهند، حيث يرتقي في عالم التجارة ويصبح ثريّاً. في حين لا يبارح طيف زوجته مخيّلته. وحين يحين أوان العودة، يعود سَيْل إلى بلاده ثريّاً، لكنّه يعود ميتاً في سجلّات النفوس، ليواجه معضلة إثبات أنّه على قيد الحياة واستعادة زوجته التي تزوّجت مُرغمةً في غيابه. إنها رواية الفقد والحنين، واختبار القيم الأصيلة في المغترَب، لبطلٍ صمد في وجه العواصف وعاد إلى موطنه منتصراً.

خالد علي زواوي

صدر عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» كتاب «سوسيولوجيا الإسلام المقاتل في فلسطين: حركة الجهاد الإسلامي نموذجاً» للباحث الفلسطيني خالد علي زواوي. يقدّم الكتاب دراسة سوسيوتاريخية معمّقة تفكك البنية التنظيمية والمرجعيات الأيديولوجية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، متتبعاً مسارات تحولها منذ التأسيس في مطلع الثمانينيات حتى عام 2018، ساعياً لسدّ فجوة بحثية في المكتبة العربية حول هذه الحركة التي ظلت، خلافاً لتنظيمات إسلامية فلسطينية أخرى، خارج دائرة الدراسة السوسيولوجية المستقلة. ينطلق الكتاب من سؤال محوري حول كيفية جمع الحركة بين البعد الوطني والمرجعية الدينية عبر مفهوم «الجهاد أولاً». ويبرهن المؤلف، اعتماداً على وثائق داخلية وبيانات ميدانية واستبيانات صاغت «بروفايل المجاهد» من الناحية الطبقية والعمرية والتعليمية والجغرافية، على وجود تحولات مفاهيمية جوهرية بين مرحلتَي الأمانة العامة الأولى بقيادة فتحي الشقاقي والثانية بقيادة رمضان عبدالله شلح. ويناقش الكتاب في ستة محاور صعود التيار الإسلامي بعد نكسة 1967، وأثر أوسلو، والبنية التنظيمية، ومواقف الحركة من الانقسام الفلسطيني وثورات الربيع العربي.

عبد الكريم حبلص

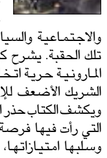

يقدّم الكاتب اللبناني عبد الكريم حبلص في كتاب «تاريخ جبل لبنان السياسي والاجتماعي - خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر (1800-1860م)» الصادر عن «دار الفارابي» قراءة تاريخية معمّقة في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدها جبل لبنان في تلك الحقبة. يشرح كيف منحت هذه التحولات الكنيسة المارونية حرية اتخاذ القرار السياسي بعد أن كانت الشريك الأضعف للإقطاع، لتغدو المالك الأكبر للأرض. ويكشف الكتاب حذر البطريركية إزاء الانتفاضة الفلاحية، التي رأت فيها فرصة ثمينة للانقضاض على الإقطاعية وسلبها امتيازاتها، مع خشيتها في الوقت نفسه من سيطرة القوى الراديكالية على الشارع المسيحي. كما يتتبع مواقف الدول الكبرى التي حملت في طياتها أوهام الحملات الصليبية التواترية، وسعيها لتحقيقها متجاوزة دروس الماضي الذي لم يغب بعد عن ذاكرة الشرقيين. يرصد الكتاب كيف وضعت هذه الأهداف السياسية جبل لبنان على مفترق طرق خطير، إذ تداخلت الأزمات الاجتماعية الداخلية مع التدخلات الخارجية لتُحدث أخاديد عميقة في نسيج المنطقة، فتفجّرت الأحداث في صراع دموي حاد تردّدت أصداؤه من شعاب الجبال إلى ضفاف الراين وقلب أوروبا.

نصوص

لا يكتفي نزيه أبو عفش في «كتاب الغائب» برثاء صديقه فاتح المدرس، بل يقدّم قراءة شعرية وفلسفية لعالم أحد أبرز التشكيليين السوريين. كتابٌ يكشف الإنسان خلف اللوحات، ويحوّل الصداقة إلى مدخل لفهم الفن، والجمال، والذاكرة، والأسئلة التي رافقت حياة المدرس وإبداعه

نزيه أبو عفش يقرأ عَيْنَي فاتح المدرس

بديع صنيج

ليس «كتاب الغائب: ربيع فاتح المدرس الأيدي» (دار دلمون الجديدة) لنزيه أبو عفش مجرد مرثية صداقة عادية، بل هو نوع من الكتابة الإحيائية، القادرة على ترسيخ الحضور الجمالي والمعرفي والإنساني للمدرس، وفي الوقت ذاته التغلغل في عُمق تجربته وفلسفته، بحيث نشعر أن هذا الكتاب بمثابة حوار من نوع خاص بين مُبدِعَيْن عرفا كيف يُمسكان بزمام الجمال بكل ما يعنيه من بساطة ودهشة وبداهة وخيرة وعذوبة وأثر...

والجميل أن نزيه لا يُحاور غياباً بقدر ما يتواصل مع قيم الحضور المستمر لفاتح، وهو لا يكتب عنه بقدر ما تشعر أنه يكتب معه، فنحن هنا أمام شاعر استطاع بكل ذكاء وصوابية قلب أن يُصوّر تضاريس روح صديقه، وأن يتغلغل إلى عُمق انفعالاته الإبداعية، ويغوص في كاباته وفرَجه، في ارتياكات وجْده وكثافة أحزانه، وصولاً إلى تفكيك معادلة الأصالة الفنية التي استطاع أن يُجسدها المدرس طيلة مسيرته، بعينيْن لا تُخطئان، ويدين ثابتتين، وقلب طفل، فهو كما يصفه صاحب «بين هلاكين»: صيّاد نور، وصائد ينابيع، وفنّانٌ حُبّ وفِطرة، وأبلغُ من صنع جمالاً يتعذّب، كما أنه «ليس مسيحاً موعوداً بالنجاة، ليمتحن جسارته ويمشي فوق الماء. إنه قادرٌ -في لحظة قنوطٍ ما- أن يغرق حتى في الصخر».

أخوة جمالية

تتجاوز العلاقة بين نزيه وفاتح حدود الصداقة الشخصية إلى ما يشبه الأخوة الجمالية. كلاهما عاش العالم بوصفه سؤالاً مفتوحاً أكثر منه يقيناً، وكلاهما نظر إلى الإنسان بوصفه الكائن الأكثر هشاشة والأكثر استحقاقاً للجمال. وإذا كان فاتح قد اختار اللون ليقول ما يعجز عنه الكلام، فإن نزيه وجد في اللغة مساحةً أخرى للرسم، حتى ليخيل إلى القارئ أن القصيدة عنده يمكن أن تُعلّق على جدار، وأن لوحة فاتح يمكن أن تُقرأ كما تُقرأ قصيدة نثر طويلة.

لهذا لا يقرأ أبو عفش تجربة فاتح من خارجها، ولا يتوقف عند مدارسها وتقنياتها، بل يدخل إليها كما يدخل بيتاً قديماً يعرف أن أصحابه ما زالوا فيه. إنه يبحث عن النبض المختبئ خلف اللون، وعن الإنسان الذي ظل يقاوم بصمت تحت طبقات الألوان. وما إن يبدأ هذا الحوار حتى تتوارى المسافة بين الرسام والشاعر، فيغدو أحدهما امتداداً للآخر، فكلاهما يعرف كيف يُؤلّف البشر، وماذا عليه أن يفعل ليسبل الدهشة عن قلب القلب.

قراءة نزيه لإبداع فاتح مغايرة من حيث إنها تخوض في تفاصيل تجربته، ومعالمها الأثيرة، فها هو يحدث عن التراب عند المدرس ليس بوصفه خامة تشكيلية، وإنما ذاكرة، ولهذا لم يكتف باستعمال الألوان الترابية الجاهزة، لأنها كما يقول: «لها لون التراب، ولكنها ليست تراباً... إنها تراثُ فقير العاطفة» بهذه العبارة الصغيرة يفتح الكتاب باباً واسعاً لفهم التجربة كلها. فالتراب الذي كان يجمعه فاتح بيديه ليس مادةً للرسم فحسب؛ إنه اختصار لعلاقة الفنان بالعالم. فيه رائحة الحقول، وخطوات الفلاحين، وعرق الأيدي، وبقايا المطر، وآثار الموتى الذين عادوا إلى الأرض. لذلك تبدو لوحاته، مهما بلغت درجة التجريد فيها، محتفظة بحرارة الحياة الأولى. لا شيء فيها مصقول أكثر مما ينبغي، ولا شيء فيها يسعى إلى إبهار العين على حساب صدق التجربة. إنها لوحات تبدو كأنها خرجت من جوف الأرض لا من محترف.

وهنا يلتقط نزيه ما هو أبعد من التقنية. إنه يرى أن فاتح لم يكن يرسم الإنسان، بل كان يعيد إليه مادته الأولى. ولذلك لم تمنح وجوهه المتعبة انطباع البطولة، ولم تبحث عن الجمال السهل، بل بدت كأنها تحمل ندوب التاريخ على ملامحها. الفلاح، والمرأة، والطفل، والعابر المجهول... جميعهم يظهرون في أعماله وهم يحملون التعب نفسه، لكنهم يحملون معه كرامةً عصية على الانكسار، إذ كان يرى الإنسان قبل أن يصبح صورة، ولهذا لم يحتج إلى زخرفة ملامحه.

وجهٌ للبشر جميعاً

ولعل هذه الرؤية هي التي تفسر حضور الفلاح السوري في معظم مراحل تجربته. فمنذ البدايات لم يكن الفلاح عند فاتح رمزاً فولكلورياً، بل كان صورةً للإنسان الأول؛ الكائن الذي لم ينقطع حبله السري مع الأرض. ومع مرور الزمن أخذ هذا الفلاح يتحول إلى علامة كونية، كما تحولت المرأة إلى أم كبرى، والطفل إلى استعارة للبراءة المهددة، والطيور إلى أمنيات مؤجلة، بينما راحت الوجوه تتخفف شيئاً فشيئاً من ملامحها الفردية لتصبح وجهاً واحداً يحمل وجوه البشر جميعاً.

هنا تبلغ قراءة نزيه ذروتها، لأنه لا يرى في هذا التحول سوى تطور فني، بل انتقالاً من رسم الأشخاص إلى رسم المصير الإنساني نفسه. لذلك يكتب عن فاتح كما لو أنه يتحدث عن شاهدٍ على الألم لا عن صانع لوحات. فالفن، في نظرهما معاً، ليس احتفالاً بالشكل، وإنما محاولة مستمرة لإنقاذ شيء من الإنسان قبل أن يبتلعه الخراب.

ولا يكتفي نزيه بالتوقف عند اللوحة بوصفها أثراً بصرياً، بل يذهب إلى ما هو أبعد: إلى الضمير الذي أنتجها. ولعل هذه هي الفكرة الأكثر رسوخاً في الكتاب كله. فالفن العظيم، في نظره، خلف اللون، وعن الإنسان الذي ظل يقاوم بصمت تحت طبقات الألوان. وما إن يبدأ هذا الحوار حتى تتوارى المسافة بين الرسام والشاعر، فيغدو أحدهما امتداداً للآخر، فكلاهما يعرف كيف يُؤلّف البشر، وماذا عليه أن يفعل ليسبل الدهشة عن قلب القلب.

قراءة نزيه لإبداع فاتح مغايرة من حيث إنها تخوض في تفاصيل تجربته، ومعالمها الأثيرة، فها هو يحدث عن التراب عند المدرس ليس بوصفه خامة تشكيلية، وإنما ذاكرة، ولهذا لم يكتف باستعمال الألوان الترابية الجاهزة، لأنها كما يقول: «لها لون التراب، ولكنها ليست تراباً... إنها تراثُ فقير العاطفة» بهذه العبارة الصغيرة يفتح الكتاب باباً واسعاً لفهم التجربة كلها. فالتراب الذي كان يجمعه فاتح بيديه ليس مادةً للرسم فحسب؛ إنه اختصار لعلاقة الفنان بالعالم. فيه رائحة الحقول، وخطوات الفلاحين، وعرق الأيدي، وبقايا المطر، وآثار الموتى الذين عادوا إلى الأرض. لذلك تبدو لوحاته، مهما بلغت درجة التجريد فيها، محتفظة بحرارة الحياة الأولى. لا شيء فيها مصقول أكثر مما ينبغي، ولا شيء فيها يسعى إلى إبهار العين على حساب صدق التجربة. إنها لوحات تبدو كأنها خرجت من جوف الأرض لا من محترف.

وهنا يلتقط نزيه ما هو أبعد من التقنية. إنه يرى أن فاتح لم يكن يرسم الإنسان، بل كان يعيد إليه مادته الأولى. ولذلك لم تمنح وجوهه المتعبة انطباع البطولة، ولم تبحث عن الجمال السهل، بل بدت كأنها تحمل ندوب التاريخ على ملامحها. الفلاح، والمرأة، والطفل، والعابر المجهول... جميعهم يظهرون في أعماله وهم يحملون التعب نفسه، لكنهم يحملون معه كرامةً عصية على الانكسار، إذ كان يرى الإنسان قبل أن يصبح صورة، ولهذا لم يحتج إلى زخرفة ملامحه.

وجهٌ للبشر جميعاً

ولعل هذه الرؤية هي التي تفسر حضور الفلاح السوري في معظم مراحل تجربته. فمنذ البدايات لم يكن الفلاح عند فاتح رمزاً فولكلورياً، بل كان صورةً للإنسان الأول؛ الكائن الذي لم ينقطع حبله السري مع الأرض. ومع مرور الزمن أخذ هذا الفلاح يتحول إلى علامة كونية، كما تحولت المرأة إلى أم كبرى، والطفل إلى استعارة للبراءة المهددة، والطيور إلى أمنيات مؤجلة، بينما راحت الوجوه تتخفف شيئاً فشيئاً من ملامحها الفردية لتصبح وجهاً واحداً يحمل وجوه البشر جميعاً.

هنا تبلغ قراءة نزيه ذروتها، لأنه لا يرى في هذا التحول سوى تطور فني، بل انتقالاً من رسم الأشخاص إلى رسم المصير الإنساني نفسه. لذلك يكتب عن فاتح كما لو أنه يتحدث عن شاهدٍ على الألم لا عن صانع لوحات. فالفن، في نظرهما معاً، ليس احتفالاً بالشكل، وإنما محاولة مستمرة لإنقاذ شيء من الإنسان قبل أن يبتلعه الخراب.

ولا يكتفي نزيه بالتوقف عند اللوحة بوصفها أثراً بصرياً، بل يذهب إلى ما هو أبعد: إلى الضمير الذي أنتجها. ولعل هذه هي الفكرة الأكثر رسوخاً في الكتاب كله. فالفن العظيم، في نظره، خلف اللون، وعن الإنسان الذي ظل يقاوم بصمت تحت طبقات الألوان. لذلك الاحتفاء بفاتح المدرس لم يعد يقتصر على كونه امتلك لغة تشكيلية متفردة، بل لأنه ظل، حتى اللحظة الأخيرة، وفياً لذلك الطفل الذي رأى العالم للمرة الأولى بعينين مرتابتين، ورفض أن يخونه حين صار رساماً.

من هنا يكتسب قول فاتح: «لم يعد الفن مرحاً» بعداً يتجاوز الشكوى العابرة. فالجملة ليست رثاءً لعصر جميل مضى، بل تشخيص لعطب أصاب العلاقة بين الإنسان والجمال. لقد صار الفن، في كثير من الأحيان، صناعةً للدهشة، بينما كان فاتح يريده صناعةً للضمير. وهذا ما يلتقطه نزيه بدقة، فبقرا التجربة كلها من داخل هذا الانحياز الأخلاقي، إذ لا قيمة للمهارة إذا لم تكن قادرة على انتشال الإنسان من قسوته، ولا معنى للجمال إذا لم يترك في القلب أثراً يشبه الندبة.

وربما هذا ما يفسر احتفاء أبو عفش بقصائد المدرس القصيرة، تلك الأوراق التي كان يثبتها على جدران مرسمه كما لو كانت شذرات ناسك يكتب وصاياه الأخيرة، ولا سيما أن الرسام كان يتعامل مع الشعر بوصفه امتداداً للرسم بلغة أخرى. ولهذا يورد نزيه مقولة فاتح الحاسمة: «لا تعبث إذ تكتب شعراً». لم يكن يحذر من ركاكة اللغة، بل من ركاكة الروح. فالشعر والرسم، في عالم فاتح، امتحان واحد، وما لا يحتمله اللون لا ينبغي أن تحتمله الكلمة.

ولأن التجربة عنده واحدة، فقد أصبحت اللوحة قادرة على اختزال العالم كله في وجه، أو في نظرة، أو في بقعة لون. لذلك يكتب نزيه عبارته التي تكاد تصلح مفتاحاً لقراءة فن فاتح المدرس كله:

«كلُّ وجهٍ... هو كلُّ الناس

وكلُّ لحظةٍ مقطوفةٌ من الزمن... هي كلُّ الزمن

وكلُّ شهقةِ جمالٍ... هي الجمالُ الكونيُّ كلُّه

وكلُّ غصّةٍ... هي غصّةُ أرواح البشر أجمعين».

ليست هذه قراءةً للوحة بعينها، بقدر ما هي التقاط منطقها الداخلي. ففي المراحل الأخيرة من تجربة فاتح، أخذت الوجوه تتخفف من هويتها الفردية، وتتحول إلى أقنعة للإنسان في معناه الأشمل. لم تعد المرأة امرأة بعينها، ولا الطفل طفلاً بعينه، بل صار كل منهما استعارةً للوجود الإنساني كله. هنا يبلغ التجريد ذروته؛ لا لأنه يبتعد عن الواقع، وإنما لأنه يغوص فيه حتى يعثر على جوهره.

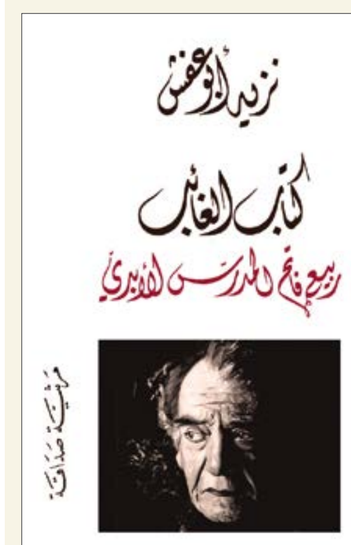

الموت لن يستطيع أن يهزم الفن، بل يمنحه معناه الأخير

عينان كسيرة كاملة

ومن أكثر المقاطع تأثيراً في الكتاب، تلك التي يتأمل فيها نزيه عيني فاتح المدرس. فالقارئ يلاحظ سريعاً أن الشاعر لا يصف ملامح صديقه، وإنما يجعل العينين سيرةً كاملة. كان يرى فيهما أكثر مما يرى في اللوحات نفسها. عينان ظلّتا، رغم تعب الجسد وانحناء الكتفين، تقاومان الانطفاء كنافذتين مفتوحتين على دهشة لا تشيخ.

حين كان فاتح يتحدث، كما يروي نزيه، كان يفتح عينيه وفمه معاً، كأن الكلمات وحدها لا تكفي لحمل الفكرة، وكأن النظر نفسه جزء من اللغة. لم يكن يصغي بأذنيه فقط، بل بعينيه أيضاً. كان يقيس المسافات بين الأشياء كما يقيس مهندسٌ أبعاد بناء لم يولد بعد، ويرفع بعينيه أعمدةً لا يراها سواه. لذلك لا تبدو عبارة نزيه بعد رحيله «دمشق بنقصها شيء ما...» مجرد حزن على صديق، بل إحساس بأن المدينة فقدت إحدى حواسها، ولذلك يقول: «بعض الناس يغادرون المكان، وبعضهم يأخذون معهم شيئاً من قدرة المكان على أن يرى نفسه».

غير أن ذروة الكتاب لا تكمن في تأمل نزيه لحياة فاتح، بل في الطريقة التي يقرأ بها اقتراب الموت منه. هنا تبلغ الصداقة امتحانها الأصعب؛ إذ يصبح الشاعر شاهداً على تآكل الجسد الذي طالما رأى فيه حصناً للروح. في لوحة «بنات الربيع الذي... لم كان» لا يقرأ نزيه الألوان وحدها، بل يقرأ العبارة التي كتبها فاتح على ظهر اللوحة وأهداها إليه: «عزيزي نزيه: أين يختبئ ربيعنا؟». سؤال يبدو بسيطاً، لكنه يختصر رحلة كاملة من الخسارات. ولا يجيب نزيه عن السؤال بوصفه صديقاً فقط، بل بوصفه شريكاً في القلق نفسه. لذلك يكتب واحدة من أجمل تأملات الكتاب: «علينا أن نعترف أن من أسرار صنعة الجمال أن نعيش دائماً خارج الربيع. على صانع الجمال أن يعيش دائماً على تخوم خريف الموت... وعلينا أن نرضى».

في هذه العبارة يلتقي الفن بالفلسفة. فالجمال، كما يفهمه الرجلان، ليس ثمرة الطمأنينة، بل ثمرة المقاومة. الربيع الحقيقي يولد على الحافة التي يتلاقى فيها الرجاء مع العدم. وربما لهذا السبب بقيت لوحات فاتح، رغم كل ما فيها من ألوان، مغموسة في ضوء خافت يشبه ضوء الأيقونات، ضوء لا يحتفل بالحياة، بل يدافع عنها.

فاكهة الموت

يزداد «كتاب الغائب» في نهايته شفافيةً وألماً، إذ يصبح الموت ضيفاً دائماً في مرسم المدرس، وتغدو كل لوحة محاولة لتأجيله قليلاً. ومن هذه المنطقة الرمادية تولد قصيدة نزيه الشهيرة «ساعة الذئب»، التي لا تبدو رثاءً بقدر ما تبدو حواراً بين صديقين يعرف كل واحد منهما أن الوقت ينفد. وحين يسأل:

«أهو الخوف، أم هي فاكهة الموت؟»، فإن الجواب لا يخص فاتح وحده، بل يخص الإنسان كله: «الخوف عطر القصيدة، والموت شكل الزمن».

الموت لن يستطيع أن يهزم الفن، بل يمنحه معناه الأخير. ولذلك تبدو صورة فاتح وهو يعود إلى أرجوحة ابنه فادي، قبل الرحيل، واحدة من أكثر الصور الإنسانية صفاءً. ليست الأرجوحة مجرد تفصيل عابر، بل هي كما يراها نزيه، محاولة أخيرة لاستعادة الطفولة، أو ربما لاستعادة الخفة التي يحتاج إليها الإنسان كي يعبر من الحياة إلى الغياب.

لهذا كله لا يمكن النظر إلى «كتاب الغائب» بوصفه كتاباً عن فاتح المدرس فقط. إنه كتاب عن الصداقة حين تصبح شكلاً من أشكال المعرفة، وعن قراءة الفن حين تغدو فعلاً من أفعال المحبة.

لقد نجح نزيه أبو عفش في أن يفعل ما يفعله الفن العظيم دائماً: لم يشرح تجربة فاتح المدرس، بل جعلنا نراها بعينيْ جديدتين، ولعل القيمة الأعمق لهذا الكتاب أنه يذكّرنا بأن الفنانين الحقيقيين لا يتركون أعمالاً فحسب، بل يتركون طرائق مختلفة لرؤية العالم. وما تركه المدرس ليس مجموعة لوحات، بل حساسية كاملة تجاه الإنسان الهش، والكائن المنسي، والجمال الذي يولد من رحم الألم. أمّا نزيه أبو عفش، فلم يكتب مرثية لصديقه، بل شيّد له بيتاً آخر من الكلمات، بيتاً لا يقيم فيه الغياب، بل تقيم فيه الذاكرة،

ذاكرة المكان

لم تعد قلاع جبل عامل مجرد شواهد حجرية على التاريخ، بل أصبحت في قلب معركة تدور حول الذاكرة والهوية. بعد إدراجها على لائحة التراث العالمي المُهدّد بالخطر، تتصاعد المخاوف من استهدافها وسط تهديدات إسرائيلية، في اختبار جديد لقدرة المجتمع الدولي على حماية إرث إنساني يتجاوز حدود لبنان

قلاع جبل عامل... هل تنقذها اليونسكو؟

علي سرور

على وقع التهديدات الإسرائيلية تجاه الذاكرة الجماعية والمعالم الحضارية في جنوب لبنان، بما تختزله من تاريخ يمتد على مدى قرون، أدرجت منظّمة «اليونسكو» قلاع جبل عامل الخمس ضمن «لائحة التراث العالمي المُهدّد بالخطر». الخطوة التي سعى لها جاهداً وزير الثقافة اللبناني، غسان سلامة، تهدف إلى لفت الانتباه الدولي إلى المعالم اللبنانية التي تعرّضت لاعتداءات إسرائيلية في الماضي، إضافة إلى ضربات متكرّرة خلال عدوان عام 2024 والحرب الحالية، بالتوازي مع اختباء القوات الإسرائيلية خلف أسوارها التاريخية لاستغلال تمنّع المقاومين عن الإضرار بشواهدهم الحضارية.

يتركّز الخطر الداهم حالياً في مرتفعات بلدة أرنون، حيث تقع قلعة الشقيف، إذ تتوالى التقارير العبرية حول نيّة «إسرائيل» تفجير شبكة أنفاق مزعومة موجودة بجوار المكان. ورغم توضيح وزير الثقافة اللبناني، استناداً إلى الخرائط الإسرائيلية نفسها، بأنّ القلعة خالية من أي بنية تحتية عسكرية، إلّا أنّ النوايا الإسرائيلية في نسفها لا تخفى عن الوزير، كما لا تغيب عن دردشات المنصات العبرية. في ظلّ هذا التهديد المُحدق، تأتي الخطوة الجديدة كمحاولة لاستجلاب الدعم الدولي منعاً لإقدام الاحتلال على الجريمة الحضارية الكبرى.

تُراث عالمي في خطر

منذ وصول القوات الإسرائيلية إلى قلعة الشقيف، واحتلال المشهدية الصفحات الرئيسية في الإعلام العبري، بدا جلياً تزايد الخطر الحقيقي بوجود مطامع عدائية لاستخدام نسف المعلم الحضاري التاريخي كـ «إنجاز استراتيجي» يُظهِر اكتمال معالم الإبادة في جنوب لبنان، نظراً إلى ما تُشكّله القلعة في الوجدان اللّبناني.

في مقابل هذه التهديدات، سُجّل استنفار في الأوساط الثقافية اللبنانية من خلال ندوات ودعوات متتالية. في موازاة ذلك، عمِلت وزارة الثقافة اللبنانية على تبيان زيف مزاعم الاحتلال بوجود بنية تحتية عسكرية في القلعة، وتأكيد على أنّ الادّعاءات المعادية تُشير إلى مكان يقع على مسافة بعيدة جدّاً من القلعة ومحيطها المباشر. وبعد رسائل عدّة أرسلها الوزير سلامة إلى المدير العام لمنظّمة «اليونسكو»، خالد العناني، أُعلن أخيراً عن إدراج قلاع جبل عامل الخمس في لائحة التراث العالمي المُهدّد بالخطر، بما يُشكّله ذلك من اعتراف دولي بقيمة التراث اللبناني الاستثنائية ويُعزّز التزام المجتمع الدولي بحمايتها.

واعتمدت لجنة التراث العالمي في دورتها الثامنة والأربعين المنعقدة في بوسان في كوريا الجنوبية، بالإجماع إدراج قلعة الشقيف، وقلعة تبنين، وقلعة شقرا، وقلعة ديركيفا، وقلعة شمع، على لائحة التراث العالمي ولائحة التراث العالمي المُعرّض للخطر، بناءً على الطلب الذي تقدّم به لبنان.

ذاكرة الجنوب

يكتنز لبنان عموماً، والجنوب خصوصاً، فصولاً حضارية رئيسية من التاريخ البشري. شهد على مرّ القرون بزوغ وسقوط حضارات على كنف جباله وهضابه العالية. وبينما طوى الزمان على صفحات لا تُعدّ ولا تُحصى من الحروب، بقيت القلاع الجنوبية صامدة على أعالي المرتفعات، لترسم للجنوبيين حصوناً تحفر في وعيهم مُرتكزاً وجدانياً جماعياً يُشكّل أحد الأعمدة الفقرية لذاكرتهم الجماعية وهويّتهم الحضارية.

بالنسبة إلى قلعة الشقيف، أو كما عُرفت في المصادر الغربية باسم «بوفور» المشتقة من الفرنسية القديمة وتعني «القلعة» أو «الحصن الجميل»، في إشارة إلى موقعها المرتفع وإطلالتها الواسعة على المناطق المحيطة، فيعود أصلها إلى العصر الروماني، ويتجاوز عمرها التسعة قرون.

أمّا قلعة تبنين، أو كما تُسمى «طورون»، فبُنيت بدورها خلال الحكم الصليبي في عام 1105 على أيدي هوغ دي سان أومير، كنقطة استراتيجية متقدّمة حاكمة جغرافياً. في حقبة قريبة، تحديداً في القرن الثاني عشر ميلادي، شيّد الصليبيون أيضاً قلعة دوبية، الواقعة قرب بلدة شقرا الجنوبية، على أنقاض معبد روماني قديم. ويبلغ طول القلعة 125 متراً وعرضها 80 متراً، وتتألّف من ثلاثة طوابق، علماً أنّ القصف الإسرائيلي دمّر طابقها الثالث عام 1972.

تعود قلعة ديركيفا بدورها إلى الحقبة الصليبية، وبُنيت على بقايا قلعة فينيقية تقع في شمال غرب البلدة قرب مدينة صور. ويُطلق تاريخياً عليها اسم «قلعة مارون»، في إشارة إلى القائد الصليبي الفرنسي الذي شيّدها، وعانت بدورها من الاعتداءات الإسرائيلية المتكرّرة منذ عام 1976.

لكنّ بين القلاع الخمس، تعرّضت قلعة شمع خلال عدوان عام 2024 إلى قصف إسرائيلي كثيف تزامن مع اجتياح القوات الإسرائيلية للبلدة ونسف جميع منازلها وبنيتها التحتية. وبنى الصليبيون في عام 1116 الحصن بجوار مقام النبي شمعون الذي تستمد القلعة اسمها منه، علماً أنّها تقع على مرتفع استراتيجي يكشف مدينة صور التي تبعد نحو 17 كيلومتراً عنه، كما تُشرف على ساحل مدينة حيفا في فلسطين المحتلة من الجهة الأخرى.

هل تفعلها «إسرائيل»؟

تعرّضت القلاع الخمس، إلى جانب جميع الأماكن التراثية والمجمعات التربوية والثقافية والدينية، ومنازل المدنيين ومقابر البلدات الجنوبية، وغيرها، إلى تدمير مُمنهج من قبل القوات الإسرائيلية. في هذا السياق، لا تعدّ الإبادة الحالية بالنموذج المستجدّ لطريقة عمل «إسرائيل»، إذ سبق لها ارتكاب معظم هذه الجرائم في الجنوب اللبناني على فترات متلاحقة سابقة. لكنّ ما تتفوّق به تل أبيب على نفسها في عدوانها الحالي، ينطوي على حجم التدمير ونطاق انتهاكاتها غير المسبوقة، في ظلّ صمت عربي وغربي ودولي مُطبق.

وبينما ترزح قلعة الشقيف في عين العاصفة، وسط تقارير صحافية عبرية انتشرت أخيراً، تكشف عن انتظار القوات الإسرائيلية بضعة أيام قبل الإقدام على خطوة التفجير في منطقة الشقيف، تأتي قائمة «اليونسكو» في سياق محاولة كبح جماح المخطّط الإسرائيلي.

لكنّ القائمة الدولية التي تضمّ المواقع التي تواجه تهديدات خطيرة، لا تملك أدوات المنع ولا حتّى العقاب، إذ ينضوي عملها في حشد الدعم الدولي العاجل لحماية المواقع المُدرجة في المادة 11(4) من اتفاقية التراث العالمي. أمّا في حالة تدمير أحدها عمداً من قبل أي جهة، فذلك يؤدي إلى تصنيف العمل كجريمة حرب بموجب اتفاقية لاهاي لعام 1954 لحماية الممتلكات الثقافية، والتي عزّزها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في عام 2017 (قرار رقم 2347). كما ينصّ إعلان «اليونسكو» لعام 2003، على أنّ تدمير التراث الثقافي ينتهك كرامة الإنسان وحقوقه، ويُشكّل جريمة حرب بموجب القانون الدولي.

الجدير بالذكر أنّ عدداً من المعالم الإيرانية المُدرجة على قائمة التراث العالمي تعرّضت لأضرار مباشرة أو غير مباشرة جراء الضربات الأميركي – الإسرائيلية، ولا سيّما في أصفهان وطهران، إضافة إلى موقع أثري مهم في محافظة لورستان. تأتي هذه الاستهدافات كجزء رئيس من الحرب الإسرائيلية على الذاكرة الحضارية والهوية الثقافية للشعوب. وفي حالة جنوب لبنان، تندرج ضمن السياق المتكامل للخطّة الإسرائيلية بتدمير المعالم المادية والمعنوية للمنطقة العاملية في إطار سعيها لكسر إرادة الجنوبيّين ودفعهم إلى التخلّي عن فكرة العودة إلى أرضهم.